البُعد الرمزي والفلسفي فى حلم سكيبيو

د. جمال الدين السيد أبوالوفا

كلية الآداب – جامعة المنيا

Abstract

The Symbolic and Philosophical Dimensions in Scipios's Dream

Cicero wrote Scipio's dream (Somnium Scipionis) at the end of his book "On Commonwealth" De republica in 129 B. C.. The researcher employs the analytical method in this research; before we tackle this method, we tried to answer some questions: What is the definition of a dream? What are the prophecies of Scipio Africanus (the elder) for Scipio Aemilianus (the younger) in this dream? Does it come true? Does Scipio's dream focus on one thought or many thoughts? What are the objectives and significations that are meant by Cicero by writing Scipio's dream? Does Cicero use figurative images to express what is in his mind?

Dreams have taken people's entire attention since ancient times, as is indicated in Quran and Bible about the tale of Joseph (peace be upon him), and a dream employs symbols in order to depict his hidden thoughts in a persuasive manner. Symbolism is not a characteristic of dreams, yet it is a characteristic of unconscious thinking, and especially public thinking, and we can find it in public inherited songs, legends, and novels more than it is in dreams. Scipio's dream includes talking about future and many prophecies, it also includes symbolism in depicting hidden thoughts.

Cicero presents the dream as scenes seen by sleepers to express unconscious desires that he cannot express them in reality, and so they can be breathed out. They are taken from the past and reality, and they may predict future in a symbolic way. The researcher thinks that Scipio's dream is like a science fiction journey to the space. As Cicero employs his imagination in the dream to go in a journey from the world to the upper world that is Heaven, and he has imagined the planets and stars and even their movements and sounds. Cicero states that sounds emerge from the planets' movement itself. This sound is a result of a mixture of different tones with each other. It seems that Cicero's aim is to show that the world's harmony is typical to a figurative and real harmony on earth between a ruler and his people. The planets' movement is similar to "pressing on the strings of a musical instrument" in its picture.

كتب ماركوس تولّيوس شيشرون حلم سكيبيو (Scipionis Somnium) فى ختام كتابه "عن الجمهورية" De republica والذي طرح فيه مسألة نظام الحكم الأمثل، والحاكم الأفضل للدولة على شكل حوار يدور بين بعض أعضاء صالون سكيبيو[١] Scipio الأدبي عام١٢٩ق.م، والذى يُعد هو المتحدث الرئيس في محاورته

---

[١] سكيبيو Scipio هو لقب لأسرة رومانية عريقة تنتمي إلى عشيرة كورنيليوس، قدمت عدداً كبيراً من الساسة والقادة في العصر الجمهوري. لقد ظل التاريخ الروماني إلى عهد سولا، سجلاً لأعمال الأُسر لا الأفراد، ولا نرى فيه أسماء ساسة عظام، ولكن يلاحظ جيلاً إثر جيل أسماء بعينها تشغل أعلى مناصب الدولة. فمن بين مائتي قنصل شغلوا هذا المنصب الخطير بين عامي ٢٣٣-١٣٣ ق.م. ، مائة ينتمون إلى عشر أسر، وكانت أقوى أسرة في ذلك العهد أسرة آل كورنيليوس Cornelius. وليس فى تاريخ روما الحربي والسياسي طوال عشرات السنين سوى تاريخ هذه الأسرة من أيام بوبليوس كورنيليوس سكيبيو Publius Cornelius Scipio نحو عام ٢١٨ ق.م.، وأيام والده سكيبيو الإفريقي قاهر هانيبال، وحتى سكيبيو أميليانيوس الذي دمر قرطاجة ١٤٦ ق.م.

ويعدّ بابليوس كورنيليوس سكيبيو Publius Cornelius Scipio (أفريكانوس الأكبر Africanus Major) القائد ورجل الدولة (٢٣٦- ١٨٤ ق.م.) من أبرز أعضاء هذه الأسرة، وهو الذي كتب تاريخها بالمجد والعزة، فبعد هزيمة روما أمام هانيبال في عدة معارك، أسلمت قيادة قواتها في إسبانيا إليه، وكان من خيرة قوادها الشبان. وتمكن بعد فترة من هزيمة القرطاجيين وطردهم من إسبانيا طرداً تاماً، فقطع عنهم بذلك موردهم الرئيس من المال والرجال. وفي عام ٢٠٥ ق.م، اختير قنصلاً ولم يمض على انتصاراته في إسبانيا سوى وقت قصير، فجند جيشاً جديداً وأبحر به نحو إفريقية ليغزو قرطاجة، كما غزا هانيبال روما في إيطاليا، ولما جاءت سنة ٢٠٣ ق.م. كان سكيبيو قد قهر قرطاجة في موقعتين على أرضها، فاضطرت الأخيرة إلى استدعاء هانيبال إليها، وما إن وطأت قدماه أرض بلاده حتى بادر إلى حشد جيش جديد وسار على رأسه لملاقاة سكيبيو عند " زاما Zama " على بعد ٨٠ كم جنوبي قرطاجة عام ٢٠٢ق.م، فانهزم القرطاجيون، وكان معظمهم من الجند المرتزقة أمام مشاة الرومان وحلفائهم المنظمين، وبذلك هزم هانيبال للمرة الأولى في حياته.

أما بوبليوس كورنيليوس سكيبيو الأصغر:(١٨٥-١٢٩ق.م) ، ابن القائد العسكري (أيميليوس باولوس Aemilius Paullus) الذي من خلاله حصل على لقب (أيميليانوس أفريكانوسAemilianus Africanus). بدا منذ صدر شبابه أنه شاب واعد ولهذا تبناه الابن الأكبر لأفريكانوس الذي انتصر على هانيبال في معركة زاما عام ٢٠٢ق.م.. تزوج من ابنة تيبريوس سمبرونيوس جراكوس وبذلك كان صهرًا للأخوين جراكوس. وقد مات عام ١٢٩ق.م. في ظروف ينتابها الغموض الشديد. كان سكيبيو أفريكانوس الأصغر الشخصية الأبرز في

"عن الجمهورية". يتكون عمل شيشرون هذا من ستة كتب، وقد فُقد منه أجزاء كثيرة، وعثر على أجزاء مهمة منها عام ١٨٢٢م، حيث تم العثور على تعليقات الكاتب ماكروبيوس Macrobius ، [٢] الذي وصل إلينا منه حلم سكيبيو كاملًا في الكتاب السادس وهو ذروة هذا الحوار.[٣]

واستخدم الباحث المنهج التحليلى في هذا البحث، وقبل أن نخوض فى هذا المنهج. نعرض بعض التساؤلات: ماهو تعريف الحلم؟ وماهى النبوءات التي تنبأ بها سكيبيو أفريكانوس(الأكبر) لسكيبيو أيميليانوس(الأصغر) في الحلم؟ وهل تحققت؟ وهل حلم سكيبيو يدور حول فكرة واحدة أم عدة أفكار؟ وماهي الأهداف والدلالات التي كان يقصدها شيشرون من كتابته لحلم سكيبيو؟ وهل استخدم شيشرون صور مجازية للتعبير عما كان يدور في مخيلته؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وجدت أنه من الأفضل تقسيم هذا البحث إلى عدة أقسام كالآتى:

عصره، فهو ينتمي إلى ثلاث عائلات عريقة في روما، عائلة أيميليوس وهي عائلته بالمولد، وعائلة كورنيليوس بالتبني، وعائلة سمبرونيوس بالمصاهرة. كان سكيبيو متيمًا بالثقافة الإغريقية، وكان يكن تقديرًا كبيرًا للأدباء والمثقفين وللثقافة اليونانية، ولهذا أنشأ صالونًا ثقافيًا سُمي باسمه "صالون سكيبيو"؛ وكان لهذه الصالون أبلغ الأثر في الأدب الروماني. وقد ضم هذا الصالون الكثير من أدباء هذا العصر. ...راجع:

Astin.A.E., (1967) Scipio Aemilianus, Oxfrod. p.11., Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) The Oxford Classical Dictionary Second Edition. Oxford .pp.962-963., Cary.A.B., (1949) The Oxford Classical Dictionary , Oxford. p.279., Sandy.J.E., (1962) Dictionary of Classical Antiquities, New York. p.421.

(٢) ماكروبيوس أمبروسيوس ثيودروسيوس Macrobius Ambrosius Theodosius عاش فى أوائل القرن الخامس الميلادى، واشتهر بتعليقه على حلم سكيبيو" وله الفضل فى تجميع الأجزاء المفقودة من الجمهورية، ويُعد أحد أهم المصادر الشيشرونية خلال العصور الوسطى....راجع:

Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979)op.cit.p.541.

(3)Cross. R.C., & Woozley.A.P., (1970) Plato's Republic A philosophical Commentary. London.P.18.

أولاً: مقدمة عن تعريف الحلم.
ثانيًا: بداية الحلم والنبوءات التي تنبأ بها سكيبيو أفريكانوس(الأكبر) لسكيبيو (الأصغر).
ثالثًا: تنبوء سكيبيو أفريكانوس بُعمر سكيبيو (الأصغر).
رابعًا: مقابلة سكيبيو أيميليانوس لوالده باولوس ونصائحه له.
خامسًا: المدارات أو الأفلاك التسع.
سادسًا: الأصوات التي تصدر في الفضاء وتقسيمها إلى نغمات وعلاقتها بالكواكب.
سابعًا: تحقير سكيبيو (الأكبر) للأرض أو للعالم الدنيوي.
ثامنًا: شروط حصول الإنسان على نعيم دار الخلد.
تاسعًا: الأهداف والدلالات التي كان يقصدها شيشرون من كتابته عن حلم سكيبيو.

مقدمة عن تعريف الحلم.

شغلت الأحلام اهتمام الإنسان منذ أقدم العصور، كما يدلنا على ذلك ما جاء في القرآن والكتاب المقدس عن قصة سيدنا يوسف.

والحلم كما يعرفه "**فرويد**" قد يبدو مبهمًا أو مشكلاً، لأننا نعلم أن الحلم يتألف أكثر ما يتألف من صورة مرئية لا من أصوات. ولقد يتبادر إلى الذهن أننا إنما نعنى بهذا القول إن الحلم كالرسم ربما يعرب عن شيء ما. سوى أن قليلاً من التدبر كفيل أن يرينا أن فكرة " التعبير" هذه يمكن أن تقال عن كل شيء: فاللغة تعبر، والموسيقى وجميع الفنون تعبر، ومعنى ذلك أن فكرة التعبير هي التي يمكن أن تقال على كل شيء لا تفيد في تخصيص أي شيء. فهذه الفكرة ليست في الحقيقة تصورًا بالمعنى الصحيح، بل الأصدق أنها تدخل في عداد تلك التصورات التى يصدق عليها التشبية.[٤]

([٤]) سيجموند فرويد (١٩٩٤) تفسير الأحلام، ترجمة: مصطفى صفوان، راجعه: مصطفى زيور، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، ص١٥.

وسرد الأحلام هو أداة أدبية لكشف المعرفة أو الحقيقة. إن ظهور الأحلام في المؤلفات الأدبية يتكرر كثيرًا فى تاريخ الأدب، وفيها يروي الراوي تجربته وغالبًا ما يحمل الحلم قصة رمزية.(٥)

والأحلام تنقسم إلى قسمين :

الأول: يقال إنها تأثرت بالحاضر أو الماضى ولكنها خالية من الدلالة على المستقبل، وكانت تشمل:

١- المنامات insomina - ἐνὑπνια التي تصور فكرة ما أو ضدها كالجوع والعطش تصويرًا مباشرًا.

٢- الخيالات φαντάσματα التي تضخم الفكرة تضخيمًا مغرقًا في الخيال مثل الكابوس ephialtes.

الثاني: فكان يقال على العكس إنها تحدد المستقبل، وكانت تشمل:

١- النبوءة المباشرة التي يسمعها المرء في الحلم - χρηματισμὸς oraculum

٢- الرؤيا التي تسبق حدث مستقبلي ὅραμα - visio .

٣- الحلم الرمزي الذي يحتاج إلى تأويل somnium - ὄνειρος . ولقد دامت هذه النظرية قرونًا عديدة.

والحلم يستخدم الرموز من أجل تصوير أفكاره الكامنة تصويرًا مقنعًا. وأن الرمزية ليست خاصة من خواص الأحلام، بل من خواص التفكير اللاشعوري، وتفكير الشعب بنوع خاص، وإنا لنجدها في أغانى الشعب وأساطيره ورواياته المتوارثة أكثر مانجدها في الحلم.(٦)

وحلم سكيبيو يندرج تحت القسم الثانى لأنه يتضمن الحديث عن المستقبل والعديد من النبوءات، ويحتوي أيضًا على الرمزية فى تصوير أفكار كامنة.

---

(5)https://en.wikipedia.org /wiki / Somnium_Scipionis.

(٦) سيجموند فرويد (١٩٩٤) تفسير الأحلام، سبق ذكره، صص٤٥، ٣٥٨ .

أولاً: بداية الحلم والنبوءات التى تنبأ بها سكيبيو أفريكانوس(الأكبر) لسكيبيو (الأصغر).

عرض شيشرون بعض الأحداث التاريخية على لسان سكيبيو أفريكانوس الأكبر في صورة نبوءات قالها أو وجهها إلى سكيبيو أيميليانوس في الحلم. فبعد أن قضى سكيبيو أيميليانوس مع رفاقه ثلاثة أيام يتحدثون فيها عن الجمهورية وعن أفضل الأنظمة لجعل الجمهورية عظيمة بين الدول. بدأ يحكى لهم أنه عندما وصل إلى أفريقيا، منذ عشرين عامًا أي حوالي عام ٢٠٠ ق.م. وكان يخدم كتربيون عسكري في الفيلق الرابع تحت قيادة القنصل مانيوس مانيليوس[٧]، ولم يكن يرغب في أي شيء أكثر من لقائه بالملك ماسينيسا[٨]، لإنه كان صديقًا حميمًا لعائلته. وقد تحققت أمنيته وتقابل معه وقضى معه يومًا طويلًا، وقص عليه لقاءه بسكيبيو الأكبر ثم تحدث عنه. وبهذه الحيلة استدعى شيشرون ذكرى سكيبيو الأكبر وسيرته لكي يكون حاضرًا في ذهنه قبل نومه ويكون ذلك السبب في رؤيته له في الحلم في هذه الليلة:

"Ad quem ut veni ،complexus me senex conlacrimavit aliquantoque post suspexit ad caelum et: Grates, inquit, tibi ago, summe Sol, vobisque, reliqui caelites, quod, ante quam ex hac vita migro, conspicio in meo regno et his tectis P. Cornelium Scipionem, cuius ego nomine ipso recreor ; itaque numquam ex animo meo discedit illius optimi atque invictissimi viri memoria." [9]

---

(٧) كان مانيليوس قنصل عام ١٤٩ق.م، حيث اندلعت الحرب البونية الثالثة. وفي وقت الحلم كان في سن الخامسة والثلاثين. وكان على رأس كل فرقة عسكرية ست من النقباء العسكريين (tribuni militum)، الذين يتم انتخابهم من قبل الشعب....راجع:

Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) op.cit .p.632.

(٨) كان ماسينيسا حليفًا لسكيبيو الأكبر في حملته ضد قرطاجة عام ٢٠٤ق.م. وقد تم تنصيبه ملكًا على نوميديا طبقًا لشروط معاهدة السلام التي أبرمها مع روما عام ٢٠١ق.م. ، وكان نشوب الحرب بين قرطاجة وماسينيسا عام ١٥١ق.م. هي الذريعة لدخول روما في القتال واندلاع الحرب البونية الثالثة. وقد مات ماسينيسا في سن متقدمة قبل سقوط قرطاجة على يد سكيبيو عام ١٤٦ق.م.... انظر: سالّوستيوس .Sallust., Iug. 5.4ff

(9) Cic., De Rep..6.9.

"عندما قدمت إليه، عانقني الشيخ المسن وانفجر في البكاء. ثم ما لبث أن تطلع إلى السماء وقال: " أتوجه بالشكر إليكِ، أيتها الشمس العلية، وأنتم يا آلهة السماء الأخرى، لأنني قبل أن أرحل عن هذه الحياة رأيت في مملكتي وفي قصري هذا بوبليوس كورنيليوس سكيبيو، الذي لمجرد ذكر اسمه عادت الروح فيَّ؛ وكذلك فإن ذكرى أفضل الرجال (أفريكانوس الأكبر)، الرجل الذي لا يُقهر، لا تبرح ذاكرتى (عقلي) أبدًا."

يوضح "جون ستيفين John Stevens " أن الأقوال السابقة لشيشرون تميزت بربط الجمل ببعضها البعض أي ما يعني التكوين الهيكلي للجملة من خلال الإشارة إلى كلمة الترابط أو الإحتضان أو العناق complexus. فهو يريد أن ينقلنا من جزئية إلى أخرى:

١- السماء caelum الذي رفع ماسينيسا وجه إليها.

٢- الشمس Sol.

٣- آلهة السماء الأخرى reliqui caelites.

٤- العالم البشري (هذه الحياة) hac vita .

٥ - المكان المادي (مملكتى) meo regno .

٦- المبنى المحدد (قصري هذا) his tectis.

٧- تقديم ماسينيسا لشخص خارق وهو بوبليوس كورنيليوس سكيبيو P. Cornelium Scipionem. (أفريكانوس الأكبر).

٨- روح animo ماسينيسا حيث يقيم سكيبيو الأكبر دائمًا بداخله فى مخيلته فله تأثير إيجابي على ماسينيسا.

٩- الذاكرة memoria .

توحي هذه الحلقات التسع المترابطة ببعضها إلى الكواكب السماوية التسعة المترابطة التي سيتم تصويرها لاحقًا في الحلم. (١٠)

لقد بدأ شيشرون الحلم على شكل مستويات ويتنقل من مستوى إلى آخر، وهذه تقنية تركيبية، وذات بعد مجازي. ولابد وأن ندرك الترابط فى معظم الجمل المستخدمة فى بنيان المحاورة، فشيشرون يستخدم شكل الحلقة من خلال استخدام المفردات مثل "الدوائر"، "المدارات"، ووضح هذا المدلول من كلمة الترابط أو الإحتضان أو العناق complexus. فى الحلم الذي يبدأ وينتهي بربط العالم المادى بالعالم الخارجى فهو يستخدم مجازًا الحلقات فى العالم المادي لدينا كالمدارات في الأجرام السماوية(١١).

لم يتحدث الشيخ عن أي شيء سوى أفريكانوس وانقضى اليوم في مناقشات مطولة بينهما حتى وقت متأخر من الليل، ويُبين سكيبيو أيميليانوس أنه عندما افترقا للخلود إلى النوم، نام نومًا عميقًا أكثر من المعتاد.(١٢) وبما أنه من الطبيعي عندما يتحدث الإنسان أو يفكر في أية موضوعات قبل نومه فتظهر له هذه الأفكار في الحلم.(١٣) وقد تحدث بعدها عما شاهده فى منامه من خلال حلمه عن مقابلته لأفريكانوس الأكبر، (ومن هنا يبدأ سرد حلم سكيبيو) الذي يقول فيه:

"Africanus se ostendit ea *forma*, quae mihi ex imagine eius quam ex ipso erat notior;" (14)

---

(10) John. Stevens., (2006)*"The Imagery of Cicero's Somnium Scipionis"* in Collection Latomus 301. Studies in Latin Literature and Roman History.XIII. Ed. C. Deroux .p.157.

(11) Gallagher. R. L., (2001) "*Metaphor in Cicero's De Re Publica*" in *CQ* 51.p. 511.

(12) cf. Cic., De Rep .6.10.

(١٣) قال سكيبيو إن هذا حدث تمامًا مثلما كتب إنيوس أنه رأى هوميروس في المنام، وقد دأب التفكير فيه والحديث عنه كثيرًا أثناء يقظته، وذكر الشاعر لوكريتيوس ما قاله إنيوس إن الأخير رأى هوميروس في المنام وإنه كان يذرف دموعًا مالحة، ثم كشف له عن أسرار الكون. انظر: Cic., De Rep.6.10., Lucr., DRN 1. 120ff.

(14) Cic., De Rep.6.10.

" ظهر لي أفريكانوس في (المنام) في تلك الهيئة التي كانت بالنسبة لي أقرب إلى قناعه الجنائزي[١٥] من صورته الحقيقية."

مفهوم كلمة *forma* تعني عادةً "الشكل أو المظهر الخارجي" وتُشير في اللاتينية إلى "التكوين" وفي الفسلفة تعني الطبيعة الجوهرية للشيء.[١٦] وهنا يتلاعب شيشرون بالمعنى اللاتيني الشائع ضد المعنى الفلسفي من خلال كلمتين: ex imagine....) ex ipso .., حيث إن قناع أفريكانوس (ex imagine) يبدو أنه يرمز إلى ذاكرة الرجل أو روحه، فهو لا يبدو في صورته التي كان عليها أثناء حياته (ex ipso ، والسؤال الذي سيظهر لاحقًا في الحوار (ويتضح من خلال البحث) هو ما إذا كانت الروح أو الجسد هي الأكثر ملاءمة ليُطلق عليها خالدة أو أنها الذات الحقيقية. وسوف يثبت أن الروح هي الخالدة، وأن الجسد الفانى هو فقط المظهر. وبالتالي فعندما يقول أيميليانوس إن أفريكانوس ظهر له في (المنام) في تلك الهيئة التي كانت بالنسبة لي أقرب إلى قناعه الجنائزي من صورته الحقيقية . فالقارئ سيدرك لاحقًا أنه كان يكشف عن نفسه كما لو كان هو حقيقةً، بالتناقض مع المظهر الزائف للجسد الذي يرمز إلى العالم الإنساني الزائف، ويمهد الطريق للأسلوب الرمزى في الحلم. على أية حال يستكمل سكيبيو أيميليانوس حديثه بقوله:

" quem ubi agnovi, equidem cohorrui, sed ille: Ades, inquit, animo et omitte timorem, Scipio, et, quae dicam, trade memoriae. Videsne illam urbem, quae parere populo Romano coacta per me renovat pristina bella nec potest quiescere? *(ostendebat autem Karthaginem de excelso et pleno stellarum illustri et claro quodam loco)* ad quam tu oppugnandam nunc venis paene miles? Hanc hoc biennio consul evertes, eritque cognomen id tibi per te partum, quod habes adhuc a nobis hereditarium. Cum autem Karthaginem deleveris, triumphum egeris censorque fueris et obieris legatus Aegyptum, Syriam, Asiam, Graeciam, deligere iterum consul absens

(١٥) اعتاد أبناء الطبقة الأرستقراطية أن يزينوا صحن الدار بأقنعة من الشمع (imagines) لأفراد الأسرة الذين وافتهم المنية.

(١٦) طبقًا لتفسير نص أرسطو: Arist., De anima 412b.

bellumque maximum conficies, Numantiam exscindes. Sed cum eris curru in Capitolium invectus, offendes rem publicam consiliis perturbatam nepotis mei." (17)

"عندما أدركت أنه هو، ارتعدت حقًا من الخوف، ولكنه قال لي: "تحل بالشجاعة، يا سكيبيو، واطرد الخوف، واطبع ما سأقوله في ذاكرتك." " هل ترى تلك المدينة، التي أرغمتها على طاعة الشعب الروماني إنها تجدد الآن حروبها القديمة ولا يمكنها أن تنعم بالسلام." (وكان يشير إلى قرطاجة من مكان مرتفع براق وصافٍ ومليء بالنجوم)، المدينة التي حضرت إليها الآن بغية حصارها وأنت بالكاد جندي. في غضون عامين وأنت في منصب القنصل سوف تسقطها، وسوف تحظى من خلال إنجازك بذلك اللقب(١٨) الذي لا تزال تحمله إلى الآن كوارث لي. وبعد أن تدمر قرطاجة، وتحتفل بانتصارك، ستصبح الرقيب؛ سوف تسافر كسفير إلى مصر وسوريا وآسيا واليونان؛ وسوف يتم اختيارك كقنصل مره أخرى رغم غيابك (عن روما)؛ وسوف تدمر نومانتيا وبذلك ستنهي الحرب الأهم. ولكن عندما يتم حملك على مقعد الكورول (في موكب انتصارك) إلى تل الكابيتول، ستجد الجمهورية في حالة من الاضطراب بسبب مخططات حفيدي(١٩)."

قسم شيشرون الفقرة الأولى أثناء الحديث عن ماسينيسا ومقابلته لأفريكانوس في عام ١٤٩ ق.م. إلى تسع حلقات، وكذلك في عرضه للنبوءات التي سوف تحدث في حياة سكيبيو أيميليانوس يرتبها إلى تسع حلقات: غزو قرطاجة عام ١٤٦ ق.م، ومهام السفير في مصر وسوريا وآسيا واليونان في عام ١٣٧ ق.م، وغزو نومانتيا وإسبانيا

(17) Cic., De Rep.6.10-11.

(١٨) لقب (أفريكانوس .Africanus) أي قاهر أفريقيا.

(١٩) يشير إلى الإصلاحات الاجتماعية التي نادى بها تيبيريوس جراكوس الابن الأكبر لكورنيليا ابنة سكيبيو أفريكانوس الأكبر.

في عام ١٣٣ ق.م.. إلى انتصاراته في روما، ثم إلى الاضطرابات السياسية في روما في وقت الحوار عام ١٢٩ ق.م.[٢٠]

وهذه النبوءات التي تنبأ بها أفريكانوس لسكيبيو أيميليانوس قد تحققت، ففي عام ١٦٨ق.م. حارب في بيدنا، وفي عام ١٥١ق.م. عمل في إسبانيا كتربيون عسكري، وحصل سكيبيو على منصب القنصل عام ١٤٧ق.م. وفي قنصليته عام ١٤٦ ق.م. قام بتدمير قرطاجة، وانتصر عليها بعد حصار دام ثلاث سنوات، صمدت فيها قرطاجة صمودًا قويًا، ثم حصل على القنصلية مرة ثانية عام ١٣٣ق.م.، وشغل سكيبيو منصب الرقيب Censor عام ١٤٢ق.م. حيث هاجم بشدة حالة الترف التي ظهرت في المجتمع الروماني. أما السفارة التي سافر فيها فكانت عام ١٤١ق.م.. أما الانتصار على نومانتيا فكان عام ١٣٣ق.م.، وكان الانتصار الثاني عام ١٣٢ق.م..[٢١]

ثانيًا: تنبوء سكيبيو أفريكانوس بُعمر سكيبيو أيميليانوس.

لم تقتصر نبوءات سكيبيو أفريكانوس عند هذا الحد بل امتدت لتشمل المدة الزمنية التى يستغرقها عمره والتى أشار إليها لسكيبيو أيميليانوس ووضح هذا من خلال الأقوال الآتية:

"Hic tu, Africane, ostendas oportebit patriae lumen animi, ingenii consiliique tui. *Sed eius temporis ancipitem video quasi fatorum viam. nam cum aetas tua septenos octiens solis anfractus reditusque converterit,* duoque ii numeri, quorum uterque plenus alter altera de causa habetur, circuitu naturali summam tibi fatalem confecerint, in te unum atque in tuum nomen se tota convertet civitas, te senatus, te omnes boni, te socii, te Latini intuebuntur, tu eris unus, in quo nitatur civitatis salus, ac, ne multa**,** *dictator rem publicam constituas oportet, si impias propinquorum manus effugeris.* Hic cum exclamasset Laelius ingemuissentque vehementius ceteri, leniter

(20)Zetzel. J. E. G., (1995) *Cicero, Marcus Tullius, De re publica. Selections.* Cambridge:
Cambridge University Press ("Cambridge Greek and Latin Classics").p.106.
(21)Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) op.cit .p.963.

arridens Scipio: St! quaeso, inquit, ne me e somno excitetis, et parumper audite cetera." (22)

"عندئذ، سيكون لزامًا عليك، يا أفريكانوس، أن تظهر لوطنك سنا شجاعتك، وشخصيتك وحكمتك. **لكن يبدو لي أن أمامك خيارين،** وكأن ذلك هو الدرب الذي رسمه لك قدرك (مصيرك غير الواضح). **لأنه عندما يكون عمرك قد استوفى سبع دورات شمسية من ثمان دورات،** ويعتبر كل رقم من الرقمين مناسب تمامًا وذلك لسبب وجيه(٢٣)، فإنك ستكون قد أنهيت من خلال دورة الشمس الطبيعية هذا العمر الذي كتبه لك القدر، وعندئذ ستضع في قبضتك وحدك الدولة بأكملها، وذلك بفضل الشهرة التي لديك؛ فعليك ستتعلق أبصار مجلس الشيوخ وكل الصالحين والحلفاء واللاتين؛ ستكون أنت وحدك من ستعتمد عليه سلامة الوطن؛ وخلاصة القول ينبغي أن **تصبح ديكتاتورًا لكي تعيد الجمهورية (النظام)، وذلك فقط إن تمكنت من الإفلات من الأيادي الآثمة لأقاربك.** هنالك عندما صرخ لايليوس وانتحب الآخرون بحرقة بالغة، ابتسم سكيبيو ابتسامة رقيقة وقال: "الزموا الهدوء! أناشدكم ألا توقظوني من سباتي، وأنصتوا قليلًا لتسمعوا البقية."

يخاطب أفريكانوس سكيبيو أيميليانوس "يا أفريكانوس Africane" . وهنا يمنحه لقبه ويُطلقه عليه. (٢٤)

---

(22) Cic., De Rep.6.12.

(٢٣) كان الفيثاغوريون يعتقدون أن كل شيء يتكون من أرقام، ومرتبط بها فرقم واحد يشير إلى الرب والخير، خالق كل شيء. أما رقم ٢ فيرمز إلى الآخر، وهو يرمز إلى الشر في الكون، حيث الرغبة فى الانفصال عن الواحد. يمثل رقم ٣ الكمال فهو له بداية ووسط ونهاية، وهو يرمز إلى بعض المفاهيم مثل نسبة قيمة الشيء بالنسبة للشيء الآخر والتناغم والكمال. ورقم ٤ يرمز إلى الفصول الأربعة. ورقم ٥ يرمز إلى الزواج فهو الناتج لجمع ٢ و ٣، وكان الفيثاغوريون يعتقدون أن الأرقام الزوجية مذكرة والأرقام الفردية مؤنثة.. انظر: أفلاطون

Plat., Timaeus. 39 D.

(24) Astin . A. E ., (1967) op.cit. p.31.

وفى قول شيشرون: يبدو لي أن أمامك خيارين، ancipitem video ..... استخدام الفعل video ليُشير إلى تصوير المشهد، وربما يكمن ذلك باستخدام الصفة ancipitem في عدم اليقين فالصفة anceps تعني حرفيًا bi - ceps ذو رأسين فيشير هذا المعنى الحرفي (بدلاً من المعنى المجازي غير المؤكد) إلى أنه يمكن أن يكون تصور مصير سكيبيو أيميليانوس ذو رأسين أو ذو اتجاهين لنوع الطريق، كما لو كان هناك بالفعل مسار مكتوب في النجوم ينقسم إلى اتجاهين. من الجزء العلوي من الكابيتول Capitolium، بينما يُنظر إلى الخلف إلى السوق الرومانية Forum Romanum، ويمكن أن يكون التصور في الواقع رؤية أخرى وهي رؤية الحياة السياسية لسكيبيو أيميليانوس، ويرمز ما يشير إليه سكيبيو أفريكانوس إلى العنف المحيط بوفاة تيبريوس جراكوس Tiberius Gracchus. حتى أن سكيبيو أفريكانوس يقول إن أفضل شيء بالنسبة له ينبغي أن يُصبح ديكتاتورًا لكي تعيد الجمهورية (النظام) ، أى السيطرة على الجمهورية فى حال إذا نجا من العنف على أيدي أقاربه فى قوله: إن تمكنت من الإفلات من الأيادي الآثمة لأقاربك si impias propinquorum manus effugeris."

وعند هذه المقولة أو النقطة يتوقف الحلم ويتدخل صوت شيشرون بصفته راويًا ليعلن أن لايليوس والآخرين يحتجون بصوت عالٍ على مقولة أن تُصبح ديكتاتورًا. فهذا الصياح أو الإحتجاج هنا يُمثل تمزق نسيج كل من الحلم والحوار أولاً للإشارة مجازًا إلى أيميليانوس كديكتاتور، وإلى العنف في فترة جراكوس، وكذلك تفكك الجمهورية. فوصف سكيبيو أفريكانوس للحياة الآخرة يمثل أيضًا التمزق أو الإنفصال وهى اللحظة التي تنفصل فيها روح أيميليانوس عن "حدود الجسم وتبدأ حياتها الجديدة في العالم السماوي".[٢٥]

([25]) Jackson. B. J., (1987) *" The Education of Statesmen in Cicero's "De Republica"* Polity, Vol. 19, No.3. p. 357., How.W.W.,(1990)*" Cicero's Ideal in His de Republica "* JRS 20 , p.31

ويبدو أن الإشارة إلى الوفاة المتصورة في هذه اللحظة لسكيبيو أيميليانوس على أيدي أقاربه وليست وفاة تيبيريوس جراكوس، ففي عام ١٢٩ق.م. مات سكيبيو أيميليانوس، وهو العام الذي جرت فيه المحاورة. إن معارضته لقانون الإصلاح الزراعي جعلت منه رجلًا غير محبوب من الحزب الإصلاحي، وعلى ذلك فإن شيشرون قد جانبه الصواب حين قال إن الجميع كان ينظر إلى سكيبيو كبطل قومي. عندما مات سكيبيو فجأة وهو في ذروة نفوذه وفي السادسة والخمسين من العمر جعلت الشائعات تقول إن سبب وفاته محل شك وإن حزب جراكوس وراء موته[٢٦].

وبالنسبة للنبوءات فإن سكيبيو أفريكانوس يتنبأ لسكيبيو أيميليانوس بعمره بسبع دورات شمسية، ومدة الدورة الشمسية حوالي ثمانى سنوات وقد تمتد إلى أكثر[٢٧]. فإذا قلنا إن حاصل ضرب السبع دورات شمسية في الثمانى سنوات يكون ٥٦ وهذا هو عمره تقريبًا لأنه وُلد فى عام ١٨٥ق.م وتوفى فى عام ١٢٩ق.م، وأيضًا يحتوي النظام الشمسي كله على ثمانية كواكب معروفة، ويشمل ذلك أربعة كواكب أرضية وهي: عطارد والزهرة والأرض والمريخ، وكوكبين عملاقيين غازيين كوكب المشترى وزحل، وكوكبين عملاقيين جليديين أورانوس ونبتونوس.[٢٨] فكذلك يكون حاصل ضرب السبع دورات شمسية في الثمانى كواكب يكون ٥٦.

وإذا افترضنا أن مدة دورة الشمس سنة واحدة خاصة وأن شيشرون قال هذه العبارة فى إشارة أخرى قُرب نهاية الحلم وهي:

"Homines enim populariter annum tantum modo solis, id est unius astri, reditu metiuntur; cum autem ad idem, unde semel profecta sunt," [29]

([26])Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) op.cit .p.963., How .W.W.,(1990) op.cit. p.31.

([27]) http:// ar.wikipedia. org/wiki., Kovaltsov .G. A., (2009). "A Solar Cycle Lost in 1793-1800: Early Sunspot Observations Resolve the Old Mystery". *The Astrophysical Journal*. **700** (2): p.55.

([28]) http:// ar.wikipedia. org/wiki.

([29]) Cic., De Rep.6.22.

" لأن البشر عادة يقيسون العام بدورة شمسية واحدة؛ وحيث إن هذا هو الحال بالنسبة لنجم واحد، فإنه يمكننا القول إن العام قد اكتملت دورته فقط عندما تعود النجوم إلى موضعها الأصلي الذي انطلقت منه،"

يتفق هذا القول مع أقوال الرواقيين: إن دورة زحل تتم فى ثلاثين سنة، ودورة المشترى فى اثنتى عشرة سنة، والمريخ فى سنتين، والشمس فى اثنى عشر شهرًا، وكذلك دورة عطارد والزهرة لأنهما يساويان الشمس في المسير، وأما دورة القمر فانها تتم فى ثلاثين يومًا، والسنة العظمى فإن بعض الناس يجعلها فى ثمانى سنين.[٣٠]

ويرى "**بوشنر.Büchner**" أنه بصرف النظر عن أي حسابات فلكية فإن الإشارة إلى الرقمين ٧و٨ على النحو المشار إليه هنا، بحاصل ضربهما يعطى الناتج ٥٦ وهو عُمر سكيبيو أيميليانوس.[٣١]

وعن سبب ذكره للعدد سبعة لأنه له رمز ديني فهو يرمز إلى عدد الكواكب التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة (الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل)، كما يرمز إلى عدد أوتار القيثارة، وكانوا يحتفلون في اليوم السابع من كل شهر بيوم مولد الإله أبولّون إله الشمس.[٣٢] وقد تأثر شيشرون بالأرقام من أفلاطون لأن الأرقام كانت لها أسرار وأهمية خاصة عند أفلاطون وقد تأثر بها هو الآخر من الفيثاغوريين.[٣٣]

---

(٣٠) أرسطوطاليس(١٩٨٠)، فى النفس، راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها :عبد الرحمن بدوى، توزيع دار القلم، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية. صص ١٤٠–١٤١.

(31) Büchner. Karl., (1984) *M. Tullius Cicero. De re publica.* Heidelberg: Carl Winter Universitätsverlag. p.481.

(32) cf. Plat., Timaeus 39 D.

(33) Astin.A.E., (1967) op.cit. p.51.

ثالثًا: مقابلة سكيبيو أيميليانوس لوالده باولّوس ونصائحه له:

لم يُبين شيشرون النبوءات التى تنبأ بها أفريكانوس لسكيبيو أيميليانوس فقط، بل بيَّنَ تشجيعه وحثه ونصحه على مواصلة دفاعه عن وطنه وخاطبه بقوله:

"Sed quo sis, Africane, alacrior ad tutandam rem publicam, sic habeto: omnibus, qui patriam conservaverint, adiuverint, auxerint, *certum* esse in caelo definitum *locum*, ubi beati aevo sempiterno fruantur;" (34)

" لكن يا أفريكانوس، لكي تكون أكثر حماسًا في دفاعك عن الجمهورية، ووطنك، تأكد من ذلك الأمر: "إن كل الرجال الذين أنقذوا أوطانهم وخدموه وزادوا من سطوته، لهم مقعد خاص في السماء حيث ينعمون في سعادة بحياة خالدة؛"

يخاطب سكيبيو أفريكانوس سكيبيو أيميليانوس مرة أخرى بقوله "يا أفريكانوس Africane"، ويخبره أن من يخلص لوطنه له مكانة عظيمة وسعيدة ومكافأتها بـ "مكان مضمون certum locum " فى الحياة الآخرة، وهذا مما جعل سكيبيو أيميليانوس يسأله عن مصيره ومصير والده باولّوس Paullus بعد الموت بقوله:

"……., quaesivi tamen, viveretne ipse et Paulus pater et alii, quos nos extinctos arbitraremur. Immo vero, inquit, *hi vivunt*, qui **e** *corporum vinculis* tamquam *e carcere* evolaverunt, vestra vero, quae dicitur, vita mors est." (35)

" فإنني على أية حال سألته عمّا إذا كان هو وأبي باولّوس والآخرين الذين نعتبرهم في عداد الموتى لا يزالون أحياء. فأجابني قائلًا: " قطعًا بالتأكيد، إن كل هؤلاء أحياء، الذين فروا من أغلال الجسد مثل الفرار من السجن؛ في حين أن حياتكم التي تسمونها حياة (حقيقية) هي الموت بعينه."

يسأل سكيبيو أيميليانوس سؤالًا على سبيل السخرية عما إذا كان الموتى قد ماتوا حقًا، واضعًا في الاعتبار والده باولّوس الذي مات بالفعل، كما لو كان متوقعًا أن

---

(34) Cic., De Rep.6.13.

(35) Cic., De Rep.6.14.

تكون الإجابة بنعم، لكن الإجابة كانت مخالفة لما يتوقعه وهي أنهم أحياء hi vivunt، وأن الموت ليس نهاية للحياة، بل إنه مجرد تحرير للروح من الجسد، لأن الجسد هو سجن الروح.[٣٦] وكان الفيثاغوريون يصفون دائمًا الجسد كسجن للروح، وقد نقل أفلاطون هذه الصورة عنهم وطورها، وهنا يردد شيشرون الفكرة نفسها.[٣٧]

ويرى الباحث أن شيشرون قدم فى الفقرة السابقة صورتين بليغتين تحتوي على التشبيه والمجاز. حيث يشبه الأغلال **(vinculum) vinculis** [وهذا هو المشبه] بالقيود الحديدية التى تقيد حرية السجين وحركته، وشبه الجسد **corporum (corpus)** بالسجن **(carcer) carcere** [وهذا هو المشبه به] ، والغرض من التشبيه الذم، واستخدم المجاز فى كلمة الموت الحقيقى للحياة الدنيا لذم الدنيا، وللتحقير من شأنها. وقد سبق وأن أشار شيشرون بذلك فى الفقرة رقم (١١) وأيضًا على لسان سكيبيو أفريكانوس.

ويخبرنا سكيبيو أيميليانوس بعد ذلك أن والده ظهر له وتبادلا الحديث معًا فى الفقرة الآتية:

"**.....** , *pater sanctissime atque optime,* quoniam haec est vita, ut Africanum audio dicere, quid moror in terris? quin huc ad vos venire propero? Non est ita, inquit ille. Nisi enim deus is, *cuius hoc templum est omne,* quod conspicis, istis te corporis custodiis liberaverit, huc tibi aditus patere non potest. homines enim sunt hac lege generati, *qui tuerentur illum globum, quem in hoc templo medium vides, quae terra dicitur,*" [38]

" **يا أجل الآباء وأفضلهم،** بما أن تلك الحياة هي الحياة الحقيقية، طبقًا لما أخبرني به أفريكانوس، لماذا أبقى (أمدًا) طويلًا على الأرض؟ ولماذا لا أهرول بالذهاب إليكم حيث تحيون؟ " أجابني قائلًا: "لا يجوز هذا الأمر، فإن الإله لم يحررك من سجن

([36])Büchner. Karl., (1984) op.cit. p.482.
([37])cf. Plat., Phaedo 61e, 62b .
([38]) Cic., De Rep.6.15.

الجسد، (الإله) **الذي كل ما يقع عليه بصرك هو معبده** (أي يشهد الكون بعظمته)، لن يكون بالإمكان السماح لك بولوج هذا المكان. لأن الجنس البشري قد خُلق في ظل هذا الناموس **وهو إعمار هذا الكوكب الذي تراه في منتصف الكون والذي نطلق عليه الأرض.**"

هناك صورتان مهمتان لشيشرون في حلم سكيبيو ويوجههما للبشر، ويشكلان رسالته السياسية والفلسفية:

الصورة الأولى: الشكل البلاغي للبناء الدائري الذي يوحد موضوع شيشرون مع هدفه الفلسفي المتمثل في إظهار رحلة سكيبيو من أدنى مكان فى الأرض ثم فى وسط الأرض وهي روما ثم إلى أعلى مكان فى السماء والعكس، (a-b-c-c-b-a) لتوضيح أنه في أقل نقطة في الكون – مركزها الكروي – تقع الأرض(a) ؛ وفي مركز الأرض تقع روما(b) ؛ وفي قلب روما وفي عام ١٢٩ ق.م. كان سكيبيو أيميليانوس، الذي وضعته شهرته في أدنى مكان في العالم. ولكن في جوفه توجد روح إلهية مصيرها الخلود والعودة إلى الجنة (c)، وهذا هو الهدف الأساسي الذي يدور حوله حلم سكيبيو والذي ينادي به شيشرون وهو النعيم الأبدي في العالم الآخر لمن يخلصون في خدمة وطنهم.[٣٩]

والصورة الثانية: يُبين لهم الأسلوب الرمزى الأساسي في الحلم من خلال معبد الإله الأعلى جوبيتر فله معبدان أحدهما على الأرض فى روما، والآخر في السماء، وأن الذى في السماء يسكن فيه الإله الأعلى جوبيتر وينظر إليهم من علياءه، مستخدمًا كلمة **templa** التي تعني سكن أو مقر الآلهة في السماء، وهذه الكلمة كان يستخدمها العرافون ليشيروا بها إلى ما يدور في مسكن الآلهة، وقد استخدمها شيشرون كتلميح ضمني فى قوله: الإله .... الذي كل ما يقع عليه بصرك هو معبده (أي يشهد الكون بعظمته)،

([39])John. Stevens., (2006) op.cit .p.155.

Nisi enim deus is, cuius hoc templum est omne, quod conspicis,……

فيلعب شيشرون بالمعاني ويقترح من خلال الصور أن منطقة السماء التي يتحدث منها سكيبيو أفريكانوس يجب أن تُصوَّر كمعبد مادي كنوع من المكانة البارزة والأهمية الكبرى للكابيتول الروماني. لكن الأهم من ذلك أنه يقترح أن رحلة سكيبيو أيميليانوس إلى هذا المعبد السماوي يجب أن تُصوَّر على أنها تُشبه الانتصار الروماني، وتحظى حركة الحلم نحو معبد الإله السماوي بالعديد من المشاهد التي سيحظى بها الموكب الروماني. فعندما يُفكر المرء في أبهى الإنتصار يشق طريقه عبر السوق الرومانية Forum Romanum على طول الطريق المقدس sacra via، وحتى تل الكابيتول Clivus Capitolinus؛ يجب أن يصل إلى القمة والعودة إلى السوق الرومانية، لرؤية المعبد عن كثب، ثم الصعود إلى الشرفة، والدخول في الفضاء المقدس نفسه ورؤية تمثال الإله. فتشير رحلة سكيبيو أيميليانوس إلى كل مرحلة من هذه المراحل بصريًا واستعاريًا.(٤٠)

ويُبين أيضًا أن البشر homines قد خُلقوا من أجل إعمار الكوكب globum الموجود فى منتصف الكون وهو الأرض terra . وأن الإله يشاهد ويراقب كل أعمال البشر.(٤١)

يستطرد شيشرون حديثه، ويتحدث عن الروح، ولم يقدم شيشرون نظرية محددة تتعلق بالروح، ولكنه حاول تعريفها على لسان والد سكيبيو أيميليانوس عندما قابله فى قوله:

"hisque animus datus est ex illis sempiternis ignibus, quae sidera et stellas vocatis, quae globosae et rotundae, divinis animatae mentibus, circulos suos orbesque conficiunt celeritate mirabili. Quare et tibi, Publi, et piis omnibus *retinendus animus est in custodia corporis nec iniussu eius, a quo ille est*

(40) James.M.,(2002) Brill's Companion to Cicero. Oratory and Rhetoric. Brill. Leiden . Boston. pp.66-67., Gallagher. R. L., (2001) op. cit.p.512.

(41) James.M.,(2002) op.cit.p.68.

vobis datus, ex hominum vita *migrandum est,* ne munus humanum adsignatum a deo defugisse videamini."[42]

" ولقد مُنحت الأرواح من قبل (الإله للبشر) والتي أُخذت من تلك النيران المستعرة الخالدة، التي تسمونها الأبراج والنجوم. ولأن تلك الأجسام السماوية كروية ومستديرة فإنها تتحرك بفعل الإرادة الإلهية، وتكمل دورانها حول نفسها في مدارها بسرعة مذهلة. من أجل ذلك، يا بوبليوس، ينبغي عليك أنت وكل الأتقياء أن تتركوا الروح في سجن الجسد. ولا ينبغي إزهاق أرواح البشر، إلا بأمر (الإله)، الذي منحكم إياها، وذلك خشية أن تبدون بأنكم قد تخليتم عن المهمة التي كلف بها الإله الإنسان."

رأى شيشرون أن الروح أُخذت من تلك النيران المستعرة الخالدة، sempiternis ignibus وتختلف عن المادة، وأنها ذات طبيعة إلهية، ولم يستطع أن ينكر هل هي من النار أم من الهواء طبقًا لرأي الرواقيين، وتعريف الروح بالنار مأخوذ من تعاليم الرواقية.[٤٣] ويعود شيشرون لاستخدام تشبيه الجسد كسجن للروح فى قوله: أن تتركوا الروح في سجن (حراسة) الجسد.retinendus animus est in custodia corporis ثم ينقلنا إلى عبارة أخرى أكثر دقة: ولا ينبغي إزهاق أرواح البشر، إلا بأمر (الإله)، الذي منحكم إياها،

nec iniussu eius, a quo ille est vobis datus, ex hominum vita migrandum est,

فيرمز شيشرون بالقول إذا كنت تريد يا سكيبيو أيميليانوس تعتزم المجيء إلى هناك على الفور (فالانتحار غير مقبول من الإله) لأنه بذلك يتخلي عن واجبه تجاه نفسه وإلى بلده، كما أنه لا ينبغي إزهاقها بالانتحار وذلك لأنها ذات طبيعة إلهية، ويجب المحافظة عليها، وفي جزئية أخرى يُبين مكان الأرواح، وأنها خالدة وغير فانية فى قوله:

(42) Cic., De Rep.6.15.
(43) cf. Cic., Tusc.1.25.60., 1.28.70.

"Infra autem iam nihil est nisi mortale et caducum praeter *animos munere deorum hominum generi datos,* supra lunam sunt aeterna omnia."(44)

"لكن ما من شيء يقع أسفل (القمر) إلا كل ما هو فانٍ وزائل باستثناء الأرواح التي منحتها الآلهة للبشر، في حين أن كل ما يعلو القمر خالد."

إذن يؤكد شيشرون على لسان سكيبيو أفريكانوس أن الأرواح منحة من الآلهة للبشر، وأنها غير فانية وغير زائلة ومكانها في السموات العلى أسفل القمر.

ويمكن القول بأن عبارة animos munere deorum hominum generi datos, تتضمن أن الرجال يكونوا بجوار الآلهة في السماوات العلى، وذلك لتعزيز المعنى الكامن وراء أن الروح هي الألوهية داخل الإنسان. فهو غالبًا ما يلعب بالألفاظ. ولقد استمد شيشرون أفكاره عن الروح من الأفكار الفلسفية اليونانية فهو يرى أن الروح جوهر مستقل وصفة خارجية عن الجسم تهبط من عالم المثل فتحل في أحد الأجسام وتخلع عليه الحياة والحركة، وأنها ذات إلهية تحل في الجسد لذا فهي تخرج الحياة فيه من القوة إلى الفعل فتجعلها ظاهرة بعد أن كانت خفية فهى الباقية بعد فناء الجسد(٤٥) مستدلًا بما قاله على لسان سكيبيو أفريكانوس في هاتين الإشارتين: الأولى:

"Et ille: Tu vero enitere et sic habeto, non esse te mortalem, sed corpus hoc;" (46)

" فأجابني قائلًا: "ابذل قصارى جهدك، وكن على يقين أن جسدك فقط هو ما يفنى،" والثانية:

"sic fragile corpus animus sempiternus movet." (47)

" فإن الروح الخالدة تحرك الجسد القابل للفناء."

(44) Cic., De Rep.6.17.
(45)Mackendrick.P., (1989) The Philosophical work of Cicero. Backworth. London.p.77.
(46) Cic., De Rep.6.24.
(47) Cic., De Rep.6.24.

فهو يريد أن يجعل للروح مكانة عالية، لا يكاد أن يكون لها أدنى صلة بالأجسام، وأنها يُمكنها أن تحل بأى جسد. (٤٨)

بما إن شيشرون يعتبر أفلاطون مثله الأعلى ويستمد الكثير من فكره الفلسفي منه، فقد أخذ فكرة خلود الروح من أفلاطون الذى أكد في جمهوريته على فكره خلود الروح فى أكثر من إشارة:

"ὅτι ἀθάνατος ἡμῶν ἡ ψυχὴ καὶ οὐδέποτε ἀπόλλυται;" (49)

"ألا تدرك أن أرواحنا (نحن أنفسنا) خالدة وأنها لا تُفنى أبدًا؟"

"ἀθανάτους τὰς ψυχὰς."(50)

"أن الأرواح خالدة."

" Οὐ ῥᾴδιον, ἦν δ' ἐγώ, ἀίδιον εἶναι σύνθετόν."(51)

" أعنى من العسير أن يكون الكائن خالد."

" Ὅτι μὲν τοίνυν ἀθάνατον ψυχή, " (52)

"فالروح إذن خالدة "(٥٣)

ينقلنا شيشرون بعد ذلك من خلال حديث سكيبيو أفريكانوس ونصائحه لسكيبيو أيميليانوس عن المكان الذى يعيش فيه مع الآلهة فى مسكنهم والسعادة الأبدية التي سينالها إذا نفذ نصائحه في قوله:

"Sed sic, Scipio, ut avus hic tuus, ut ego, qui te genui, iustitiam cole et pietatem, quae cum magna in parentibus et propinquis, tum in patria maxima est; ; ea vita via est in caelum et in hunc **coetum** eorum, qui iam

---

(48) Mackendrick. P., (1989) op.cit.p.78.
(49) Plat. Republic. 608.d.3-4.
(50) Plat. Republic. 610.c.8-9.
(51) Plat. Republic.611.b.5.
(52) Plat. Republic.611.b.9.
(٥٣) الترجمة مأخوذة من كتاب: أفلاطون(١٩٨٥)، جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، راجعها على الأصل اليونانى: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. صص. ٥٤٨، ٥٥١، ٥٥٢ .

vixerunt et corpore laxati illum incolunt locum, quem vides, (erat autem is splendidissimo candore inter flammas circus elucens) quem vos, ut a *Graiis* accepistis, *orbem lacteum* nuncupatis;"[54]

" لكن عليك، يا سكيبيو، أن تحذو على هذا النحو حذو جدك الماثل أمامك هنا[٥٥]؛ وحذو والدك الذي أنجبك، في تعزيز العدل وروح الانتماء، التي تعد روح عظيمة عند إظهارها تجاه الوالدين والأهل، وأعظم عند إظهارها تجاه الوطن. مثل هذه الحياة هي الطريق إلى السماء، وإلى صحبة هؤلاء الذين قضوا نحبهم، وتحرروا من الجسد، ويقطنون الآن ذلك المكان الذي تراه، (وهذا المكان عبارة عن مجرة منيرة وذات بهاء فهي الأكثر ضياءً من بين المجرات). والذي تطلقون عليه، على غرار الإغريق، اسم **درب التبانة**."

تشير الفقرة السابقة إلى المكان الذى يعيش فيه الإنسان بعد الموت بشرط تعزيز العدل وروح الانتماء، تجاه الوالدين والأهل، والأفضل إخلاص الجندى الرومانى لوطنه فى الحياة الدنيا، ويعده إذا سعى جاهدًا إلي تحقيق ذلك سيستحق أن ينال وجودًا أبديًا مع الآلهة، وذلك فى المكان السماوي المسمى درب التبانة orbem lacteum، هو مجتمع من الآلهة مثل المجتمع الرواقي للحكماء، فيهدف حلم سكيبيو بأكمله إلى مساعدة أيميليانوس على عيش حياة دنيوية من منظور المجتمع السماوي، والذي يعبر بوضوح عن فكر الرواقيين. ولذا يكرس بقية الحلم لهذا المنظور السماوي فذلك من الفضائل، وفيما يبدو أن الرواقية أصبحت هي الملهمة لسكيبيو والمطمح الذي يصبو إليه شيشرون، وتشير الحركة في الحلم إلى رحلة نحو مكان الإله السماوي على طراز موكب النصر نحو مبنى الكابيتول الروماني. لكن الرحلة نحو الإله التي يقوم بها سكيبيو أيميليانوس تمثل تقدمًا في الفضيلة التي سيكون جزاؤها

([54]) Cic., De Rep.6.16.

([٥٥]) المقصود سكيبيو أفريكانوس الأكبر.

الخلود الأبدي مع الآلهة.(٥٦) لا سيما وأنه ينظر من درب التبانة إلى الأرض نظرة تصغير وتحقير على حد قول سكيبيو:

"iam ipsa terra ita mihi parva visa est, ut me imperii nostri, quo quasi punctum eius attingimus, paeniteret. "(57)

"والآن بدت لي الأرض نفسها صغيرة جدًا لدرجة أنني شعرت بالخجل من إمبراطوريتنا، التي تحتل مجرد نقطة من سطحها."

من خلال نظرة سكيبيو أيميليانوس للأرض وجد أنها أقل مكان في الكون، وفي قلبها الإمبراطورية الرومانية، وعلى الرغم من أن روما جزء لا يستهان به من الأرض، إلا أنها نقطة في مركز الأرض. وهو الشيء الذي جعله يشعر بالخجل وكأنه هو نفسه قزم بجوار من حوله.(٥٨)

ويرى **باول .Powell** أن ظهور سكيبيو أفريكانوس في الحلم والتحدث مع سكيبيو أيمليانوس عن الحياة بعد الموت والنظام الكوني، والتنبؤ بتدميره لقرطاجة، وتوضيحه للحياة الآخرة وخلود الروح والمكافأة الأبدية لأولئك الذين ينقذون أوطانهم ليست إلا دافع لسكيبيو أيميليانوس لمواصلة مهمته السياسية الصعبة. وفي الوقت نفسه يدعوه إلى تحويل انتباهه عن الحياة الفاسدة على الأرض. كأن موضوع الحلم هو " ثواب رجل الدولة الصالح بعد الموت"، وأيضًا يعتبر بمثابة المواساة والأمل لشيشرون نفسه.(٥٩)

(56)James.M.,(2002) op.cit. p.69., Gallagher. R. L., (2001) op.cit .p.513.
(57) Cic., De Rep.6.16.
(58) John. Stevens., (2006) op.cit .p.156.
(59)Powell. J. G. F., (1990) *Cicero: Laelius, on Friendship & The Dream of Scipio*, Warminster (Aris & Phillips), p.124.

رابعًا: المدارات أو الأفلاك التسع:

يوضح شيشرون ماهى المدارات أو الأفلاك التسع التي تحيط بالكون من خلال شرح سكيبيو أفريكانوس لسكيبيو أيميليانوس لطبيعة الفضاء الخارجي:

"Quam cum magis intuerer, Quaeso, inquit Africanus, quousque humi defixa tua mens erit? *nonne aspicis, quae in templa veneris?* novem tibi orbibus vel potius **globis** conexa sunt omnia, quorum *unus est caelestis, extumus, qui reliquos omnes complectitur, summus ipse deus* arcens et continens ceteros; in quo sunt infixi illi, qui volvuntur, stellarum cursus *sempiterni*; cui *subiecti* sunt septem, *qui versantur retro contrario motu atque caelum; ex quibus unum globum possidet illa*, quam in terries Saturniam nominant. Deinde est hominum generi prosperus et salutaris ille fulgor, qui dicitur Iovis; tum rutilus horribilisque terris, quem Martium dicitis; deinde subter mediam fere regionem sol obtinet, **dux et princeps** et moderator luminum reliquorum, mens mundi et temperatio, tanta magnitudine, ut cuncta sua luce lustret et compleat. Hunc ut comites consequuntur Veneris alter, alter Mercurii cursus, in infimoque orbe luna radiis solis accensa convertitur."(60)

" حيث إنني كنت أُحدق فى الأرض باهتمام أكبر من أي شيء آخر، قال أفريكانوس: أود أن أسألك: " إلى متى سيتعلق فكرك بالأرض؟ **ألا ترى المنازل العليا التي حللت بها؟** إن الكون يتكون من تسع **مدارات globis** أو بالأحرى الأفلاك التسع التي يرتبط بها كل شيء، **أحد هذه الأفلاك الفلك السماوي** الذي يمثل الإطار الخارجي للكون، والذي يحتضن باقي الأجرام، **وهو نفسه الإله الأعلى** الذي يمسك بالأجرام الأخرى ويحيط بها؛ ففي نطاقه نجد المدارات الخالدة sempiterni للنجوم السيارة مثبتة. وأسفل (هذا المدار الخارجي) تدور سبعة كواكب (مدارات) أخرى في الاتجاه العكسي للسماء؛ ينتمي الإطار الخارجي لهذه الكواكب إلى الكوكب الذي نطلق عليه كوكب ساتورنوس (زحل). يليه بعد ذلك الكوكب اللامع، الذي يجلب الخير والصحة للجنس البشري، والذي يطلقون عليه جوبيتر (المشترى)؛ يليه الكوكب الأحمر والمخيف لأهل الأرض، الذي تطلقون عليه اسم مارس (المريخ). أسفل مارس (المريخ) توجد **الشمس** التي تقع في منطقة وسطى تقريبًا (بين الأرض وبين

(60) Cic., De Rep.6.17.

السماوات)، **فهي القائد والرئيس والمتحكم** في سائر الكواكب الأخرى، إنها **العقل** الذي يحافظ على توازن العالم، وإنها بالغة الضخامة لدرجة إنها تطوق كل شيء وتغمره بنورها. ويدور في مدارها، مثل الرفقاء، كوكب فينوس (الزهرة)، وكوكب مركوريوس (عطارد)، وفي أدنى مدار يدور القمر الذي ينير سطحه بنور أشعة الشمس."

يقدم شيشرون فى هذه الفقرة من حلم سكيبيو الكثير من العبارات الانتقالية الغامضة فيبدو أن الإشارة فى الوضع الراهن هي من درب التبانة orbem lacteum ، بحيث تعني هذه العبارة أنه من هذا المنطلق بدت جميع الأجرام السماوية الأخرى التي تظهر بشكل رائع. وإذا كان الأمر كذلك فيجب على المرء أن يفترض أن سكيبيو أيميليانوس قد دخل للتو في درب التبانة نفسه ورأى المجتمع الفاضل الذي يتمناه. بحيث يبدو وكأن هذا مؤكدًا بدليل قوله عندما قيل ألا ترى المنازل العليا التي حللت بها؟ none aspicis quae in temple veneris? ، أي عندما دخل المنازل العليا فى السماء من خلال هذا المشهد تكونت لدية صورة مدارات الكواكب وترتيبها مرئية، حتى أن سكيبيو أيميليانوس سيسمع الأصوات التي يصنعونها وينظر إلى تناغم المجالات (كما سنرى فيما بعد).[٦١]

يرى شيشرون أن الكون يتكون من تسعة أجرام سماوية، والأرض هي الجزء الداخلي في حين أن أعلى السماء أحد هذه الأفلاك الفلك السماوي unus est caelestis وهي التي تحتوي على البقية، وهي التى فيها الإله الأعلى نفسه summus ipse deus وفيما بين هذين النقيضين (السماء والأرض)، القمر

([61])Frandreas . K., (2010) Commentary On Cicero, De Republica, VI , 18 & 19 (Harmony of Spheres). USA.p.145.

وعطارد وفينوس والمريخ وكوكب المشتري وزحل (والتي تنطلق من الأدنى إلى الأعلى). [٦٢]

إن نظام مركزية الأرض الذي وضعه العالم الفلكي تيكو براهي .Tycho Brahe (١٥٤٦-١٦٠١م)، يُبين أن كلاً من الشمس والقمر يدوران حول الأرض، بينما تدور الكواكب الأخرى أي زحل والزهرة وعطارد والمريخ والمشتري حول الشمس، ويحيط بهذا كله مجال مكون من نجوم ثابتة. كما أن العلماء في عصرنا الحالى وهو عصر تكنولوجيا التلسكوبات المتطورة والجديدة، اكتشفوا لاحقًا أن بلوتو هو عبارة عن جسم من بين عدة أجسام أخرى موجودة في نفس المنطقة. وبناءً على هذه المعلومة فإنه في عام ٢٠٠٦م قام الاتحاد الفلكي الدولي International Astronomical Union بتحديد معنى كلمة كوكب للمرة الأولى. واستنادًا إلى هذا التعريف، تمت إعادة تصنيف بلوتو ككوكب قزم من بين خمسة أُخرى، وهو أول كويكب تمت رؤيته على الإطلاق. وتسمى جميع الأجسام التي تدور حول الشمس بعد نبتون بالأجسام العابرة لمدار نبتون (Trans-Neptunian Objects) أو اختصاراً TNO . [٦٣]

وقول شيشرون الإله الأعلى نفسه هو الذي يمسك بالأجرام الأخرى ويحيط بها يبدو أن هذا تفسير خاطئ لنص أرسطو؛ الذى يؤكد أن هذه المجالات مصنوعة من عنصر آخر لا يتغير، وهو الأثير الذى يتم تحريكه بواسطة إلهه الخاص، وهو المحرك الإلهي الثابت الذي لا يتغير.[٦٤] فشيشرون كتابع لفلسفة الشكاك كان ينظر بعين الريبة إلى طبيعة الرب ويرى أنها مستحيلة.[٦٥]

ويمكن القول بأن شيشرون كان متأثرًا فى حديثه عن النظام الفلكي كله، وحركة الكواكب والنجوم بل وأخذ بعض المفاهيم من الآراء الفلسفية اليونانية من فلاسفة

(62)http://www.skyscript.co.uk/kepler.html (David Plant: Kepler & the Music of the Spheres)
(63)https://nasainarabic.net/education/articles/view/basics-of-space-flight
(64) cf.Arist., Physics 267b 6-9.
(65) cf. Cic., DND 1.21.60.

اليونان أمثال أناكسيماندر[٦٦] وأفلاطون وإبيقوروس والرواقيون. ولذا فضلنا أن نلقى الضوء عليها لنُبين هذا التأثر.

كانت الأجرام السماوية الكيانات الأساسية الكونية في العصور القديمة اليونانية، وقول شيشرون على لسان سكيبيو أفريكانوس فى بداية الفقرة السابقة: إن الكون يتكون من تسع مدارات أو بالأحرى الأفلاك التسع التي يرتبط بها كل شيء، أحد هذه الأفلاك الفلك السماوي الذي يمثل الإطار الخارجي للكون، يتفق بما أوضحه أناكسيماندر الذى أوضح أن كلًا من الشمس والقمر عبارة عن منفتحات دائرية مفتوحة في حلقات أنبوبية من النار محاطة بأنابيب من الهواء المكثف؛ هذه الحلقات تشكل إطار العجلات الدوارة التي تشبه العربات التي تدور حول الأرض في مركزها، والنجوم الثابتة ملحقة بإطارات العجلات هذه. وتم تشكيل كل هذه العجلات في الأصل من كرة أصلية من النار تشمل الأرض بالكامل، والتي تفككت في العديد من الحلقات الفردية. وأن الكون فى بدايته تشكلت منه الحلقات السماوية. كما نرى من الأرض كانت حلقة الشمس أعلى، وكانت حلقة القمر أقل، وكان مجال النجوم أدنى.

وتم ترتيب الكواكب للخارج من الأرض الكروية الثابتة في وسط الكون بهذا الترتيب: القمر، عطارد، فينوس، الشمس، المريخ، كوكب المشتري، وزحل. في نماذج أكثر تفصيلاً احتوت الكواكب السبعة على مجالات ثانوية أخرى بداخلها. أعقبت الكواكب الكروية النجوم الثابتة. [٦٧]

ومما يدلل على تأثر الأفكار الشيشرونية بالأفكار الفلسفية وخاصة الفكر الأفلاطونى، أن فكرة المدارات والكواكب والنجوم التى تحدث عنها شيشرون على

([٦٦]) " أناكسيماندر Anaximander " فيلسوف إغريقى وعالم فلكي ظهرت على يديه أفكار الأجرام والحلقات السماوية لأول مرة في أوائل القرن السادس ق.م.... راجع:
Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) op.cit .p.226.

([67]) https:/la.m.wikisource.org /wiki / Commentarii_ in _Somnium_Scipionis.

لسان سكيبيو أفريكانوس مأخوذة كليًا من جمهورية أفلاطون على لسان "إر" الذي تحدث عنها في أقواله الآتية:

"ὥσπερ ἂν εἰ ἐν ἑνὶ μεγάλῳ σφονδύλῳ κοίλῳ καὶ ἐξεγλυμμένῳ διαμπερὲς ἄλλος τοιοῦτος ἐλάττων ἐγκέοιτο ἁρμόττων, καθάπερ οἱ κάδοι οἱ εἰς ἀλλήλους ἁρμόττοντες, καὶ οὕτω δὴ τρίτον ἄλλον καὶ τέταρτον καὶ ἄλλους τέτταρας. ὀκτὼ γὰρ εἶναι τοὺς σύμπαντας σφονδύλους, ἐν ἀλλήλοις ἐγκειμένους, κύκλους ἄνωθεν τὰ χείλη φαίνοντας, νῶτον συνεχὲς ἑνὸς σφονδύλου ἀπεργαζομένους περὶ τὴν ἠλακάτην· ἐκείνην δὲ διὰ μέσου τοῦ ὀγδόου διαμπερὲς ἐληλάσθαι. τὸν μὲν οὖν
πρῶτόν τε καὶ ἐξωτάτω σφόνδυλον πλατύτατον τὸν τοῦ χείλους κύκλον ἔχειν, τὸν δὲ τοῦ ἕκτου δεύτερον, τρίτον δὲ τὸν τοῦ τετάρτου, τέταρτον δὲ τὸν τοῦ ὀγδόου, πέμπτον δὲ τὸν τοῦ ἑβδόμου, ἕκτον δὲ τὸν τοῦ πέμπτου, ἕβδομον δὲ τὸν
τοῦ τρίτου, ὄγδοον δὲ τὸν τοῦ δευτέρου. καὶ τὸν μὲν τοῦ μεγίστου ποικίλον, τὸν δὲ τοῦ ἑβδόμου λαμπρότατον, τὸν δὲ τοῦ ὀγδόου τὸ χρῶμα ἀπὸ τοῦ ἑβδόμου ἔχειν προσλάμποντος, τὸν δὲ τοῦ δευτέρου καὶ πέμπτου παραπλήσια ἀλλήλοις,
ξανθότερα ἐκείνων, τρίτον δὲ λευκότατον χρῶμα ἔχειν, τέταρτον δὲ ὑπέρυθρον, δεύτερον δὲ λευκότητι τὸν ἕκτον. κυκλεῖσθαι δὲ δὴ στρεφόμενον τὸν ἄτρακτον ὅλον μὲν τὴν αὐτὴν φοράν, ἐν δὲ τῷ ὅλῳ περιφερομένῳ τοὺς μὲν ἐντὸς ἑπτὰ κύκλους τὴν ἐναντίαν τῷ ὅλῳ ἠρέμα περιφέρεσθαι, αὐτῶν δὲ τούτων τάχιστα μὲν ἰέναι τὸν ὄγδοον, δευτέρους δὲ καὶ ἅμα ἀλλήλοις τόν τε ἕβδομον καὶ ἕκτον καὶ πέμπτον· [τὸν] τρίτον δὲ φορᾷ ἰέναι, ὡς σφίσι φαίνεσθαι, ἐπανακυκλούμενον τὸν τέταρτον, τέταρτον δὲ τὸν τρίτον καὶ πέμπτον τὸν δεύτερον."[68]

" ولكن ينبغى من وصف "إر" لها (للمدارات) أن نتخيلها حلقة كبيرة، باطنها مفرغ تمامًا، وفى داخلها حلقة ثانية أصغر، ثم ثالثة ورابعة وأربع أخريات، كل منها داخلة في الأخرى وكأنها طاقم من الأوانى. وهكذا كان مجموع هذه الحلقات ثمانية، كل منها في داخل الأخرى، وقد ظهرت حوافها في الخارج وكأنها دوائر، تكون كلها سطحًا متصلًا واحدًا حول العمود الذي يخترقها كلها حتى مركز الثامنة منها. وأعرض الدوائر هي تلك التي تكون حافة أولى الحلقات وأبعدها (وهي النجوم الثوابت). وتليها

([68]) Plat., Republic. 616.d.3-617.b.3.

في العرض السادسة (الزهرة) ثم الرابعة (المريخ) ثم الثامنة (القمر)، ويليها السابعة (الشمس) ثم الخامسة(عطارد) والثالثة(المشترى)، وأضيقها كلها هي الثانية (زحل). وكانت حافة أوسع الحلقات (وهي النجوم الثوابت) مرصعة، وألمعها هي السابعة (الشمس) أما الثامنة (القمر) فضيئها نور منعكس من السابعة، والثانية والخامسة (زحل وعطارد) متشابهتان وأكثر اصفرارًا. والثالثة (المشترى) أكثرها نصاعة، والرابعة (المريخ) ميالة إلى الحمرة. والسادسة (الزهرة) هي الثانية في النصاعة. وكان المحور يدور كله في حركة واحدة، ولكن الدوائر السبع الداخلية كانت تدور داخل الكل أثناء دورانه، في حركة بطيئة في الاتجاه المضاد[٦٩] وكان أسرعها في الحركة ثامنها (القمر)، ويليه في السرعة السابع والسادس والخامس(الشمس والزهرة وعطارد) وكلها تتحرك معًا. ويلي ذلك الرابع (المريخ). وكانت حركته أشبه بدوران مضاد[٧٠] ثم الثالث (المشترى)، وأبطؤها كلها الثاني (زحل)."[٧١]

إذن فكرة المدارات والكواكب والنجوم مأخوذة من أفلاطون الذي يُبين أن جسم الكون كروي الشكل، والأكثر اتساقًا وتماثلًا، ويحتوي على النجوم الثابتة. ومن المفترض أن الكواكب عبارة عن أجسام كروية مثبتة في حلقات دوارة، وأن وضع الكواكب الثابتة يكون في الأعلى، وبعدها الكوكب الأول المسمى بزحل، وكان يسمى φαίνιον لامع أو براق، والثانى كوكب المشترى، والثالث كوكب المريخ، وكان يسمى بوريوس πυρόεις، والرابع كوكب الزهرة وكان يسمى فسفورى φωσφορος [٧٢] بمعنى نجمة الصبح وهو الذي يعلن عن نور النهار، والخامس

([٦٩]) الحركة المضادة هى الحركة الظاهرية للكواكب من الغرب إلى الشرق، وحركتها تبدو مضادة بالقياس إلى النجوم الثابتة.

([٧٠]) أو بحركة راجعة، لأنه بطىء فيبدو راجعًا أو سائرًا فى الاتجاة المضاد بالنسبة إلى الكواكب التى هى بطبيعتها أسرع دورانًا منه.

([٧١]) الترجمة مأخوذة من كتاب: أفلاطون(١٩٨٥)، جمهورية أفلاطون، سبق ذكره. صص٥٥٩-٥٦٠.

([٧٢]) وهذه الكلمة مكونة من الكلمتين φῶς ضوء أو نهار φέρω يحمل أو يأتى بكذا

كوكب عطارد ويسمى Στιλβων والسادس الشمس، والسابع القمر وحركة الكواكب الإنتقالية عكس حركة الكواكب الثابتة، وأن حركتها من المغرب إلى المشرق.(٧٣)

ويرى إبيقوروس والرواقيون أن العالم كله كروي الشكل، وأنه مكون من أجسام منها متحرك وغير متحرك، وابتدأ من مركز العالم الكروى وهو الأرض، وأن الكواكب كروية ومتحركة بطبيعتها، وكذلك الشمس والقمر، ويرون أيضًا أن الشمس والقمر كرويان وأعظم من الأرض.(٧٤)

وهناك سببان لجعل شيشرون يتحدث عن علم الفلك. أوردهما **زيتزيل .Zetzel** الأول: تأثره الشديد بالأفكار الأفلاطونية كما وضح من قبل. والثانى: لأنه علم يدفع الإنسان إلى التأمل فى السماوات العليا وما تحتوي عليه من نجوم وكواكب، ولأن المتأمل فيها يستخدم عقله لا عينه. مستدلًا على ذلك من قول أفلاطون فى الإشارتين الآتيتين الأولى:

"παντὶ γάρ μοι δοκεῖ δῆλον ὅτι αὕτη γε ἀναγκάζει ψυχὴν εἰς τὸ ἄνω ὁρᾶν καὶ ἀπὸ τῶν ἐνθένδε ἐκεῖσε ἄγει."(75)

"لأن كل شخص يدرك بوضوح، على ما أعتقد، أن الفلك يدفع النفس إلى تأمل ما هو أعلى، والإنتقال من الموجودات الدنيوية إلى السماوية."

والثانية:

"ἃ δὴ λόγῳ μὲν καὶ διανοίᾳ ληπτά, ὄψει δ' οὔ· ἢ σὺ οἴει;" (76)

" تلك كلها أمور تدرك بالعقل والفكر، ولا ترى بالعين. أم أنت تعتقد غير ذلك؟"(٧٧)

---

(٧٣) أرسطوطاليس(١٩٨٠)، فى النفس، سبق ذكره . صص١٢٩، ١٣٢.، وكذلك راجع:
cf. Plat., Republic. 10. 616b, 617c

(74) Gregory. J., (1991) " and Plato on Democracy: a Translation and its Source": Latomus, T. 50, Fasc. 3, p. 641.

(75) Plat., Republic. 529.a.1-2.

(76) Plat., Republic. 529.d.5.

(٧٧) الترجمة مأخوذة من كتاب: أفلاطون(١٩٨٥)، جمهورية أفلاطون، سبق ذكره. ص٤٣٩-٤٤٠.

ويُضيف أيضًا إنه يعتقد أن من يتأمل الأجرام السماوية يؤمن بأنه يوجد إله خالق للسماء وما فيها من نجوم قد أضفى عليها كل ما يمكن أضفاؤه على مثل هذه المخلوقات من جمال. فحين يتعلق الأمر بتعاقب الليل والنهار وطول كل منهما، أو نسبتهما معًا إلى الشهور، ونسبة الشهور إلى السنين، ونسبة بقية النجوم إلى الشمس والقمر، فإنه يعتقد باستحالة استمرار هذه النسب على ما هي عليه إلى الأبد دون تغيير بدون خالق لها إذ إنها مادية محسوسة، ومن الخطأ أن يبذل المرء جهدًا كبيرًا لكي يجد فيها حقيقة أصلية.(٧٨)

تحدث شيشرون عن وجود تسعة مدارات globi مع كوكب واحد تدور حوله الأرض في الوسط (كما هو موضح فى الشكلين التاليين في الصفحة التالية). وقد نجد أن مصطلح globi غير واضح تمامًا؛ فشيشرون يفضل استخدام globi عندما يتحدث عن جميع المدارات أو الكواكب أو المستويات التسعة بما في ذلك الأرض والشكل الخارجى للسماء caelum مع النجوم stellae ، في حين أن كلا orbes ، globi يشير بعد ذلك إلى سبعة مدارات التي تدور حولها الكواكب؛ والشيء الوحيد الذي يخبرنا شيشرون هو أن سبعة مدارات globi تتحرك في الاتجاه المعاكس للسماء caelum. عادة ما يستخدم مصطلح "الكواكب" على الرغم من أن القمر والشمس مدرجان بأنهما ليست كواكب، ويمكن القول بشكل أكثر دقة "الأجرام السماوية".(٧٩)

بعد ذلك يتطرق شيشرون لصورة بلاغية من أجمل الصور وهي التشبيه البليغ للشمس sol فهو يصفها بالقائد dux والرئيس princeps والمتحكم moderator في سائر الكواكب الأخرى، وليس هذا فقط بل إنها العقل mens الذي يحافظ على توازن العالم، وإنها بالغة الضخامة tanta magnitudine ، وإنها تطوق كل شيء وتغمره

(78)Zetzel. J.E.G.,(1995) op.cit.p.235.
(79)http:// en.wikipedia. org/wiki.Celestial_Spheres.

بنورها. .sua luce lustret et compleat.... ولعل سبب تشبيهه لها بتلك التشبيهات أن الشمس هي مجرة من مجرات درب التبانه وتحتوي على نحو ٢٠٠ مليار نجم تقريبًا.(٨٠)

يستخدم شيشرون مجازًا الدستور في كلٍ من النظام الكوني للحلم والدولة المثالية. ففي الحلم تحكم الشمس الكواكب الأخرى عن طريق العقل خاصة وأنه يصفها بالعقل، فالتحكم والتناغم والإنسجام التام الموجود في الترتيب السماوي المقدم في الحلم على وجه الأرض فى نجاح رجل الدولة بالسيطرة العقلانية المتمثلة فى الدستور الذي يحلم به سكيبيو فى ترتيب نُظم الدولة فى الدولة المثالية. (٨١)

خامسًا: الأصوات وتقسيمها إلى نغمات وعلاقتها بالكواكب.

بينما كان سكيبيو أيميليانوس يحدق في الكون بدأ في سماع "صوت عالٍ وبالغ العذوبة"

tantus et tam dulcis sonus

وهذا هو الذى جعله يسأل جده سكيبيو أفريكانوس ويُجيب عليه من خلال الحديث الآتى:

"Quae cum intuerer stupens, ut me recepi, Quid? hic, inquam, quis est, qui conplet aures meas *tantus et tam dulcis sonus?* Hic est, inquit, ille, *qui intervallis disiunctus inparibus,* sed tamen pro rata parte ratione distinctis inpulsu et *motu* ipsorum *orbium* efficitur et *acuta* cum *gravibus* temperans varios aequabiliter concentus efficit; nec enim silentio tanti motus incitari possunt, et natura fert, ut extrema ex altera parte graviter, ex altera autem acute sonent. quam ob *causam summus* ille caeli stellifer cursus, cuius conversio est concitatior, acuto et excitato movetur sono, gravissimo autem hic lunaris atque infimus; nam terra nona inmobilis manens una sede semper haeret *complexa* medium mundi locum. illi autem octo cursus, in quibus eadem vis est duorum, septem efficient distinctos intervallis sonos, qui

(80) https:/la.m.wikisource.org /wiki / Commentarii_ in _Somnium_Scipionis.

(81) Atkins.W.J.,(2013)*Cicero on Politics and the Limits of Reason . The Republica and Laws*. Cambridge University Press.p.97 .

numerus rerum omnium fere nodus est; *quod docti homines nerv imitati atque cantibus aperuerunt sibi reditum in hunc locum,* "[82]

" عندما أفقت من الدهشة التي تملكتني أثناء مشاهدتي لتلك (العجائب) سألت (أفريكانوس): ما هذا؟ ذلك الذي يملأ أذناي،[٨٣] أي صوت عالٍ هذا وبالغ العذوبة؟ أجاب قائلاً: هذا (الصوت) يصدر عن حركة وتدافع الكواكب نفسها، وعلى الرغم من أن المسافات التي تفصل بينها غير متساوية، إلا أنها مع ذلك مقسمة بحكمة وبنسب محسوبة حسابًا دقيقًا، ومع امتزاج نغمة عالية بأخرى منخفضة تصدر ألحان مختلفة؛ وذلك لأن مثل هذه الاندفاعات بالغة السرعة لا يمكنها أن تحدث في صمت؛ وكان من الطبيعي أن يصدر بعضها نغمة منخفضة، وبعضها الآخر نغمة حادة. وعلى ذلك فإن المجال الخارجي للسماء الذي يحمل النجوم والذي يدور بسرعة أكبر يتحرك محدثًا نغمة عالية وحادة، في حين أن النغمة الصادرة عن حركة القمر هي الأكثر انخفاضًا، وذلك لأنه أدنى الأجرام؛ ولأن الأرض هي الكوكب التاسع (فإنها لا تصدر أي نغمة) فهي تظل بلا حراك معلقة في مكان واحد دائمًا وتحتل مركز الكون.[٨٤] على أية حال فإن الكواكب الثمانية الأخرى اثنان منها (عطارد والزهرة) يتحركان بنفس السرعة، يصدر عنهما سبعة نغمات مختلفة وغير متصلة، والرقم سبعة هذا هو الرابط الذي يربط العالم كله ببعضه تقريبًا؛ حاكى الرجال (الموسيقين) هذا النهج (في خلق التناغم) في أغانيهم وفي آلاتهم الوترية، وبذلك فتحوا لأنفسهم طريقًا للعودة إلى هذا المكان (السماوي)،"

يُجيب سكيبيو أفريكانوس بأن الصوت يصدر عن حركة الكواكب واندفاعها أثناء جريانها في الفضاء، وهذه الإجابة تجعلنا نتوقف قليلًا ونتساءل: كيف يحدث الصوت؟ وهل الصوت جسم أم لا؟ وهل هو عَرض في الهواء أم لا؟

([82]) Cic., De Rep.6.18.

([٨٣]) قارن أفلاطون: Plat., Republic.10. 617 b

([٨٤]) ذكر شيشرون هذه المقولة نفسها فى: Cicero., De Re publica.6.17.

يرى "**بوشنر** Büchner": أن عبارة quis ... tantus et tam dulcis sonus تُعد من النمط العامي للمحادثة بين الأقارب خاصة باستخدام شيشرون الصفتين tantus،dulcis ، والتي تعد بشكل فني الغرض الرئيس لكلمة sonus فغرض شيشرون هنا ليس الصوت بل اللحن أو الموسيقى، كما أن الغرض من استخدام Hic est للاستفسار عن "غير محسوس" وليُرد على التساؤل بأن هذا (الصوت) يصدر عن حركة وتدافع الكواكب نفسها، كما يرى أن حركة الكواكب تشبه في صورتها "الضغط على أوتار الآلة الموسيقية.[٨٥]

والترجمة الحرفية لكلمة intervallis بمعنى "مسافات أو فترات أو فواصل" ويُترجمها "**باول** Powell" التناغمات، ويجب أن يُأخذ في الاعتبار أنه في العصور القديمة لم يكن معروف تعدد الأصوات، لذلك يجب فهم "الانسجام" أو"الفواصل" على أنه لحن ذو نغمات، وكانت تُعرف النغمات من حيث الإرتفاع أو الإنخفاض، ولذلك باستخدام الصفة acutus حاد لتعنى بها هنا: نغمة عالية النبرة؛ ولكن على النقيض من الصفة acuta حاد استُخدمت الصفة gravis ثقيل أو خطير لتعنى بها هنا: نغمة منخفضة النغمة.[٨٦]

وبالنسبة لسبب الصوت يُبين شيشرون فيما يبدو أن (المسافة من الأرض تكون أعلى، كلما اقتربنا من الأسفل) والسرعة (كلما كان أسرع، كلما كان ذلك أبطأ وأخفض). ويتم إنتاج الصوت بسبب حركة الأفلاك motus orbium، ولكنه لم يحدد ما إذا كان المقصود هو حركة الكواكب أو الفلك نفسه، ولا يمكن افتراض أنها كانت الحركة الظاهرة للكون كله مرة واحدة كل أربع وعشرين ساعة بسبب دوران الأرض، بدلاً من الحركات الفعلية للكواكب ومداراتها. ومن ثم فإن كل واحد منهم سيغطي خلال أربع وعشرين ساعة محيط الدائرة المرسومة حول الأرض. وستكون المسافة

(85)Büchner. Karl., (1984) op.cit. pp.478-479.
(86)Powell. J.G. F.,(1990) op.cit.pp.141,159.

المغطاة متناسبة مع المسافة عن الأرض المسافة بين الكوكب والأرض، وبالتالي ستكون سرعة الحركة الفعلية.(٨٧)

ويرى "**زيتزيل** Zetzel": أن الصوت هو نتيجة مزج النغمات المختلفة مع بعضها البعض. ويتم تصور الكواكب على أنها تتمتع بحركة ذاتية معينة، ويبدو أن هدف شيشرون هو إظهار أن انسجام الكون يتوافق مع الانسجام المجازي والحقيقي على الأرض. كما أن حركة النجوم تنتج توافقًا يدعم وجهة نظرنا. فالأجسام التي هي في حالة حركة تنتج الضجيج والاحتكاك، لكن الصوت يحدث عندما يكون الجسم المتحرك محاطًا بجسم غير متحرك، وقد نقول إذن في هذه المسألة إنه إذا تحركت الأجسام السماوية في كتلة منتشرة عمومًا من الهواء أو النار، فإن حركتهم ستؤدي بالضرورة إلى ضجيج قوة هائلة.(٨٨)

وقد أثبتت الإكتشافات الحديثة أن الفضاء بين الكواكب وبين النجوم به دوىُ أصوات، وهناك العديد من المواقع في النظام الشمسي قد تكون فعليًا صاخبةً جدًا، ومثل هذه المواقع لديها فراغًا يسمح لموجات الصوت بالإنتشار. فعندما هبطت المركبة هويجينس Huygens التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية وجدت بعض تسجيلات صوت في الفضاء، وبالفعل هناك مقطوعات موسيقية (أصوات) لأجسام النظام الشمسي مثل المشتري وحلقات زحل، لكنها ليست تسجيلات صوتية مباشرة، فهي تحويل الاهتزازات الكهرومغناطيسية إلى إشاراتٍ صوتية، وتبدو جميلةً وغريبة.(٨٩)

ويرى إبيقوروس والرواقيون إن الصوت الحقيقى هو الصوت المفهوم الذى يخرج من الفم. وأن الصوت هو خروج الأشكال المتشابهة مع بعضها وتصادمها. ويعنى

---

(87)http://www.dartmouth.edu/~matc/math5.geometry/unit3/unit3.html
(Paul Calter: Pythagoras & Music of the Spheres)

(88) Zetzel. J. E.G., (1995) op.cit. pp.239-240.

(89) https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-does-the- solar-system-sound-like.

بقوله: الأشكال المتشابهة المستديرة مع المستديرة، والمعوجة مع المعوجة، والمثلثة مع المشابهة لها. ويرون أيضًا أن الصوت جسم لأنهم يقولون إنه خارج أو فاعل، وإننا نسمعه ونحس بملاقاته. وإن كل محرك فهو جسم، وألحان الموسيقى متحركة فهي جسم، والصوت يتحرك ويصطدم بالمواضع اللينة ويرجع عنها مثل الكرة التى يضربها الحائط، وعلى هذا فالصوت يحدث من الحركة. وهذا هو ماقاله سكيبيو الأكبر بأن الصوت يصدر عن حركة وتدافع الكواكب نفسها qui intervallis disiunctus inparibus. بينما يرى كل من فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو أن الصوت ليس بجسم، وأنه عَرض فى الهواء، وأن الشكل الذي يعرض في الهواء وبسط يكون عنه الصوت، وبالتالي ينتج عن الصوت درجات أو نغمات عالية ومنخفضة.(٩٠)

يضاف إلى ذلك أن كل حركة لها ستة أبعاد: فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف. وغير ممكن أن تتحرك الأرض فى بُعد من هذه الأبعاد فليس لها أن تميل وتخص بالميل جهة من الجهات، إلا إذا كان منها مواضع تتحرك بسبب التخلخل. وأن الأجرام التي تتألق في السماء وهي من العالم المنظور، ومن أجمل الموجودات الحقيقية، وتتحرك حركة حقيقية، (٩١) كما قال أفلاطون :

"ταῦτα μὲν τὰ ἐν τῷ οὐρανῷ ποικίλματα, ἐπείπερ ἐν ὁρατῷ πεποίκιλται, κάλλιστα μὲν ἡγεῖσθαι καὶ ἀκριβέστατα τῶν τοιούτων ἔχειν, τῶν δὲ ἀληθινῶν πολὺ ἐνδεῖν, ἃς τὸ ὂν τάχος καὶ ἡ οὖσα βραδυτὴς ἐν τῷ ἀληθινῷ ἀριθμῷ καὶ πᾶσι τοῖς ἀληθέσι σχήμασι φοράς τε πρὸς ἄλληλα φέρεται καὶ τὰ ἐνόντα φέρει,"(92)

" أن تلك الأجرام التى تتألق بها السماء إنما هي من العالم المنظور، ومن هنا فعلى الرغم من كونها أجمل الأشياء المادية وأكملها، فإنها أدنى مرتبة بكثير من الموجودات

(90)Luck. G.,(1956)"Studia Divina in Vita Humana: On Cicero's 'Dream of Scipio' and Its Place in Graeco-Roman Philosophy." The Harvard Theological Review 49.p.208.

(91)http://classics.mit.edu/Aristotle/heavens.1.i.html., Luck. G.,(1956)op.cit.p.209.

(92) Plat., Republic. 529.c.7-529.d.1-5.

الحقيقية، أي تلك التي تتحرك حركة حقيقية، بسرعة حقيقية وبطء حقيقي، وتبعًا لأعداد حقيقية وأشكال حقيقية، وتحرك على هذا النحو كل ما فيها." (٩٣)

وإذا كان شيشرون قدم وصفًا للكواكب فقد وصف أيضًا الأرض بأنها مركز الكون في قوله على لسان سكيبيو أفريكانوس: ولأن الأرض هي الكوكب التاسع (فإنها لا تصدر أي نغمة) فهي تظل بلا حراك معلقة في مكان واحد دائمًا وتحتل مركز الكون؛ وذلك لأن " كل الأجسام الثقيلة تنجذب نحوها لما تتمتع به من جاذبية. "

"et in eam feruntur omnia nutu suo pondera." (94)

وفي قول شيشرون أيضًا على لسان سكيبيو أفريكانوس: في حين أن النغمة الصادرة عن حركة القمر هي الأكثر انخفاضًا، وذلك لأنه أدنى الأجرام؛ تقول: "**كريستينسين** Christensen" إن ما ذكره سكيبيو أفريكانوس يمكن أن يُسمى : "موسيقى أو تناغم المدارات" لاسيما أنه يشرح لحفيده أنه بسبب حركة الكواكب على فترات زمنية محددة يتم إنتاج صوت أثناء تحركها. والقمر كونه الأقرب إلى الأرض ينبعث منه أدنى صوت على الإطلاق، في حين أن السماء تنبعث منها أعلى صوت. والأرض من ناحية أخرى لا تتحرك وتبقى بلا حراك في وسط الكون. وفكرة الموسيقى أو تناغم المدارات لها أصل فيثاغوري ومعظم المصادر الأخرى قد طورت نفس الفكرة عن الأصل الفيثاغوري.(٩٥)

وفي قول شيشرون أيضًا على لسان سكيبيو أفريكانوس: حاكى الرجال(الموسيقيون) هذا النهج (في خلق التناغم) في أغانيهم وفي آلاتهم الوترية، وبذلك فتحوا لأنفسهم طريقًا للعودة إلى هذا المكان (السماوي)."

---

(٩٣) الترجمة مأخوذة من كتاب:أفلاطون(١٩٨٥)،جمهورية أفلاطون، سبق ذكره. ص ٤٣٩-٤٤٠.

(94) Cic., De Rep.6.17.

(95) Christensen.T.S.,(2002) *The Cambridge History of Western Music Theory.* Cambridge University Press.p.54.

تقول: "**كريستينسين** إن الموسيقيين يتحدثون عن الأصوات المزدوجة كما يسمونها، ويقربون أذانهم من آلاتهم، وكأنهم يودون أن يسترقوا السمع لحديث جارهم، ثم يدعي بعضهم أن في وسعه تمييز النغمات العالية، والوسطى والمنخفضة، وأنه قد عرف أقصر مسافة، وهي التي ينبغي أن تكون أساسًا لقياس الأصوات، على حين أن غيرهم يرى أنه لا فارق بين الصوتين، وفي الحالتين يجعلون للأذن الأسبقية على العقل.[٩٦]

إن الموسيقيين الذين يداعبون الأوتار بالضربات التي يكيلونها بالريشة للأوتار، وكأنها تُهم يوجهونها إليها ويؤلمونها، وذلك حين تنخفض منها نغمة أو تعلو أكثر مما ينبغى. فهم يعلقون هذه الأوتار مشدودة على خشبة كخشبة التعذيب. وفى هذا التمثيل استعارة فالتشبيه هنا بعملية التعذيب التي كان الرومان يمارسونها على العبيد في المحاكمات ليستخلصوا منهم الإعترافات. ولقد أوضح أفلاطون التشبيه نفسه فى جمهوريته.[٩٧]

هناك بُعد فلسفى وعدة صور مجازية مهمة فى هذا الحلم وهو أن شيشرون يريد توضيح أن على رجل الدولة أن يكون على دراية بطبيعة الكون منذ نشأته، وبعلم الفلك، وبحركة الكواكب والنجوم وأن بهما تحرك دائمًا. ويستخدم فى الحوار نظام المدارات فى السماء كمجاز للتقريب المثالي الذي يجب أن يحصل عليه رجل الدولة في النظام السياسي، ولكي يقدم صورة من الإنسجام والتناغم الذي سينتج بين رجل الدولة الناجح وشعبه، ولذلك تحدث عن المدارات وتناغمها. ويستخدم أيضًا مجازًا التغني والتناغم بين مجموعات جد مختلفة فى الدولة؛ مثلما يسمي إنسجام وتناغم

([96])Christensen. T.S., (2002) op.cit.p.55., http://dme.mozarteum.at/DME/nma/nma_cont.php?vsep=41&gen=edition&l=1&p1=-27

([97])Plat., Republic. 531.b.8-9.,West. M. L.,(1992) *Ancient Greek Muisic*.Oxford: Clarendon Press.p.42., http://en.wikipedia.org/wiki/Il_sogno_di_Scipione. The full score can be visited at

الموسيقيين فيما يتعلق بموسيقى الكورال. وهذا الاتفاق أو التناغم لا يمكن أن يوجد على الإطلاق بدون عدالة، وأن واجب رجل الدولة أن يجعل من نفسه قدوة للآخرين لتقليده فبنقاء روحه وحياته قد يقدم نفسه كمرآة لزملائه المواطنين. والإنسجام الموجود في روح رجل الدولة هو أيضًا لإثبات وجوده في الدولة. ويجب أن يستخدم رجل الدولة العقل لتوجيه أوامر متباينة لشعبه بصورة متوافقة ومتناغمة.(٩٨)

سادسًا: تحقير سكيبيو أفريكانوس للأرض أو للعالم الدنيوى.

سبق وأن ذكرنا فى فى بداية البحث مع ظهور سكيبيو أفريكانوس قوله:

"Videsne illam urbem, quae parere populo Romano coacta per me renovat pristina bella nec potest quiescere? *(ostendebat autem Karthaginem de excelso et pleno stellarum illustri et claro quodam loco).* " (99)

" هل ترى تلك المدينة، التي أرغمتها على طاعة الشعب الروماني إنها تجدد الآن حروبها القديمة ولا يمكنها أن تنعم بالسلام." (وكان يشير إلى قرطاجة من مكان مرتفع براق وصافٍ ومليء بالنجوم)،

يُلاحظ في عبارة شيشرون (وكان يشير إلى قرطاجة من مكان مرتفع براق وصافٍ ومليء بالنجوم) للدلالة على أن سكيبيو أفريكانوس كان يكن عداءً شديدًا لقرطاجة لاسيما وأنه يذكرها كأول انتصاراته. وهناك دلالة أخرى من استخدام شيشرون لحرف المعنى de "أسفل من" كصورة مجازية وللدلالة على قوة أفريكانوس وأنه فى مكان مرتفع وعالٍ، خاصة وأنه يشير لسكيبيو أيميليانوس إلى الأرض (في الأسفل) والتي هي أقل وأبعد بكثير من مكانه، والمقصود بالأرض هنا الدنيا للتقليل من شأنها.(١٠٠)

على حد قول سكيبيو أفريكانوس في فقرة آخرى:

"Tum Africanus: *Sentio, inquit, te sedem etiam nunc hominum ac domum contemplari;* quae si tibi *parva*, ut est, ita videtur, haec *caelestia* semper

(98)Atkins. W. J., (2013) op.cit. p. 78.
(99) Cic., De Rep.6.11.
(100) Powell. J.G. F.,(1990) op.cit .pp. 127-128.

spectato, illa humana contemnito. Tu enim quam celebritatem sermonis hominum aut quam expetendam consequi gloriam potes?" [101]

"عندئذ استأنف أفريكانوس حديثه قائلًا: "أرى أنك لا تزال تتأمل في مقاعد الرجال ومنازلهم؛ إن كانت (الأرض) تبدو لك صغيرة (غير ذات قيمة)، وهي كذلك بالفعل، فلتنظر دائمًا إلى ذلك الملكوت السماوي، ولتحتقر اهتمامات البشر. فأي شهرة يمكن أن تنالها من حديث البشر؟ وأي مجد جدير بأن تكابد من أجله؟"

إن ترتيب الصور من السماء caelum أو الملكوت السماوى caelestia إلى الأرض terra يشير إلى العودة إلى عالم روما حيث كان يعتقد سكيبيو أيمليانوس خطأً أنه سيحقق شهرته منها، ومن هذه النقطة ينطلق شيشرون إلى الفكرة الأكثر أهمية في الحلم، وهي أن تتلاقى صور العالم السماوي والعالم البشري حول موضوع "مقعد الرجال ومنازلهم أو موطنهم" sentio te sedem etiam nunc hominum ac domum contemplari. ، فشهرة سكيبيو أيمليانوس لا يمكن تحقيقها ببساطة عبر انتصار عسكري يؤدي إلى موكب عسكري نحو مبنى الكابيتول في العالم المادي لروما، ولكن عن طريق التفكير في العالم الروحاني للروح. ويجب على رجل الدولة أن يفهم ذلك ويطيع القدر ويحرز تقدمًا روحيًا نحو المقعد السماوي للإله ورجال الدولة الخيرين. فكل ما يشغل بعض رجال الدولة المكانة العالية والحصول على مقعد فى مبنى الكابيتول، ولم يدركوا أن المقعد الحقيقي مع الآلهة فى السماء.[١٠٢]

ولكى نفهم البُعد الفلسفي في هذا الحوار من حلم سكيبيو لابد من فهم طبيعة شخصيته كرجل دولة، صالح وحكيم، ومن ذوي الخبرة والمكانة العظيمة، وقادر على مواجهة الأزمات، وتأسيس سياسة مستقرة للنظام، وإذا وجد هذا الرجل فيكون هو القادر على حراسة الدولة وسلامتها. وشيشرون كان يقصد تحديد فئة من رجال الدولة

([101]) Cic., De Rep.6. 19.

([102])Andrew. R. D., (1998) *" On the Interpretation of Cicero, De Republica "* CQ 48, No. 2 , p. 565.

الجيدين الخيرين بدلاً من شخص واحد أو منصب واحد، ويجب أن يكون هناك معارضة لأى مستبد أو طاغية. وهذه الأوصاف تتوافق مع وصف أفلاطون للملك الفيلسوف في جمهوريته لأن أفلاطون كان يناقض الطاغية مع العدل ورجل الدولة. لذا يقارن شيشرون سكيبيو رجل الدولة النموذجي مع الطاغية. فرجل الدولة الذي سيحكم سوف يواجه صعوبات، لذا فإنه يحتاج إلى الأمل (spes)، وليس هناك أي فائدة من الشهرة والمجد كما يُعرف غالبًا. فالمجد الحقيقى فى العالم السماوي فهو الأكثر إستقرارًا. (١٠٣)

ويُلاحظ من العبارة السابقة وصف الأرض terra بأنها صغيرة أوغير ذات قيمة parva، وذلك للدلالة على تحقيرها وتصغيرها ودونيتها، وأنها لا تساوي شيئًا، ويجب على الإنسان أن ينظر إلى الملكوت السماوي spectato... caelestia ، ويتطلع إلى منازل الآلهة، ويحتقر اهتمامات البشر humana contemnito حيث إن الأرض سوف تُدمر أو تُفنى في وقت ما لا محال له(١٠٤)على حد قول سكيبيو أفريكانوس:

"…….,tamen propter eluviones exustionesque terrarum, quas accidere tempore certo necesse est," (105)

"فإن دمار الأرض بالفيضان أو الحرائق(١٠٦) ، وهو الأمر الذي لا مفر من حدوثه في عصر ما،"

ولم يقتصر سكيبيو الأكبر على تحقير الأرض وتحقير اهتمامات البشر فقط، بل حقر أيضًا المحيط الأطلنطىAtlanticus Oceanus، والبحر العظيم mari magnum، ووصفهم بنفس الصفة parvus التي وصف بها الأرض وهو ما يتضح من قوله الآتي:

---

(103) Atkins. W. J., (2013) op.cit .pp.73-74.

(104) Andrew. R. D., (1998) op.cit. p. 566.

(105) Cic., De Rep.6.21.

(١٠٦) يذكر شيشرون هنا ما يؤمن به الرواقيون بأن الأرض مآلها إلى الدمار والفناء بفيضان هائل أو بحريق هائل؛ انظر: Sen., Nat.Quaest.3,27ff., Cic., DND 2, 118.

"parva quaedam insula est circumfuse illo mari, quod Atlanticum, quod magnum, quem Oceanum appellatis in terris, qui tamen tanto nomine quam sit parvus, vides."(107)

" إن الجزيرة الصغيرة التي تحيطها المياه والتي تطلقون عليها على الأرض اسم المحيط الأطلنطي أو البحر العظيم. ورغم أنكم تسمونه "بالعظيم"، أترى كم هو صغير!"

سابعًا: شروط حصول الإنسان على نعيم دار الخلد:

يوضح شيشرون بعد ذلك أن سكيبيو أفريكانوس وضع لسكيبيو أيميليانوس شروط حصول الإنسان على نعيم الدار الخالدة وهى:

"Igitur alte spectare si voles atque hanc sedem et *aeternam domum* contueri, neque te *sermonibus vulgi* dedideris nec in *praemiis humanis* spem posueris rerum tuarum; suis te oportet inlecebris ipsa *virtus* trahat ad *verum decus*, quid de te alii loquantur, ipsi videant, sed loquentur tamen. *Sermo* autem omnis ille et angustiis cingitur iis *regionum*, quas vides, nec umquam de ullo perennis fuit et *obruitur hominum interitu et oblivione posteritatis extinguitur*."(108)

" وعلى ذلك إن رغبت في أن تنظر لأعلى وتتأمل هذا المقعد والدار الخالدة، فإنك لن تصغي إلى نفاق الغوغاء (الناس)، ولن تعلق الآمال على نيل مكافئات البشر نظير مآثرك. إن الفضيلة وحدها، وما بها من سحر أصيل، يجب أن تدفعك نحو المجد الحقيقي. دع ما يقوله الغوغاء (الناس) عنك، فهو شأنهم، فلن يمنعهم شيء وسيقولونه في جميع الأحوال. على أية حال فإن جل حديثهم يقتصر على تلك الحدود الضيقة التي تراها؛ إن سيرة أي إنسان لا تدم طويلًا، وتأخذ في الزوال بموتهم، وتُمحى بنسيان ذريته له."

وهكذا فإن الشروط التي يجب على الإنسان إتباعها لكى ينال ويفوز بمقعده فى الدار الخالدة aeternam domum هى:

(107) Cic., De Rep.6. 20.
(108) Cic., De Rep.6. 23.

١- أن لا يصغي الإنسان إلى نفاق الغوغاء، sermonibus vulgi .
٢- أن لا يتعلق بالآمال لنيل مكافئات البشر praemiis humanis نظير ما يفعله.
٣- إن الفضيلة virtus وحدها، وما بها من سحر أصيل، يجب أن تدفع الإنسان نحو المجد الحقيقي verum decus .
٤- أن يدع الإنسان ما يقوله الغوغاء (الناس) Sermo ، فهو شأنهم، ولن يمنعهم شيء وسيقولونه في جميع الأحوال.

وعلة هذا لأن:

١- حديث الناس مهما كثُر فإنه يقتصر على الحدود regionum الضيقة ؛
٢- سيرة الإنسان hominum لا تدم طويلًا؛
٣- وتأخذ في الزوال بموتهم interitu .... obruitur ؛
٤- وتُمحى بنسيان ذريته له oblivione posteritatis extinguitur ؛

وعلى هذا فإن شيشيرون يريد أن يوضح أن العالم كله بالأعم وروما بالأخص ما هم إلا جزء صغير جدًا لا يساوي أي شيء، وأن ما يحظى به الإنسان من مناصب ودرجات عُلا ونعيم فى الدنيا لا يساوى أي شيء مثل نعيم الدار الاخرة.[١٠٩]

وما أن ذكر أفريكانوس الشروط الواجب توافرها لكى يحظى بالنعيم فى الدار الآخرة رد عليه سكيبيو أيميليانوس بالآتى:

"Quae cum dixisset, Ego vero, inquam, Africane, siquidem bene meritis de patria quasi limes ad caeli aditum patet, quamquam a pueritia vestigiis ingressus patris et tuis decori vestro non defui, nunc tamen tanto praemio exposito enitar multo vigilantius."[110]

"عندما قال هذا، قلت له: " حيث إن هناك حقًا: يا أفريكانوس، دربًا ما مفتوحًا إلى السماء لأولئك الذين استحقوا الإقرار بفضلهم من قبل وطنهم، فإنني سأناضل من أجل

([109]) John. Stevens., (2006) op.cit .p.161.
([110]) Cic., De Rep.6.24.

نيل هذه الجائزة العظيمة على نحوٍ أكثر لهفة مما لدي الآن؛ مع أنني على أية حال سرت منذ صباي على خطى والدي وخطاك ولم ألطخ مجدك."

وهكذا فقد وعده سكيبيو أيميليانوس بأنه سيكافح ويبذل كل ما فى وسعه لنيل الجائزة العظيمة tanto praemio، وأنه سوف يسير على خطى والده وجده.

ثامنًا: الأهدف والدلالات التي كان يقصدها شيشرون من كتابته عن حلم سكيبيو:

فيما يبدو أن الفقرة الأخيرة التي أنهى بها شيشرون حلم سكيبيو قدمت ملخصًا للأهداف والدلالات التي كان يقصدها شيشرون من كتابته لحلم سكيبيو. فهو يُبين أن روح الإنسان هي الخالدة وهي المدبرة والمحركة له ويجب على الناس أن لا يحاصروا أنفسهم بالمتع الجسدية، ولا يجعلوا من أنفسهم عبيدًا لإغواء الشهوات، حتى لا ينتهكوا قوانين الآلهة والبشر بسبب خضوعهم لشهواتهم، لكي ينالوا الخلود في الدار الخالدة، وهذه هي الفقرة الأخيرة المطولة من الحلم ومن كتابه "عن الجمهورية":

"Cum pateat igitur aeternum id esse, quod a se ipso moveatur, quis est, qui hanc naturam animis esse tributam neget? inanimum est enim omne, quod pulsu agitatur externo; quod autem est animal, id motu cietur interiore et suo; nam haec est propria natura animi atque vis; quae si est una ex omnibus, quae sese moveat, neque nata certe est et aeterna est. hanc tu exerce optimis in rebus! sunt autem optimae curae de salute patriae, quibus agitatus et exercitatus animus velocius in hanc sedem et domum suam pervolabit; idque ocius faciet, si iam tum, cum erit inclusus in corpore, eminebit foras et ea, quae extra erunt, contemplans quam maxime se a corpore abstrahet. Namque eorum animi, qui se corporis voluptatibus dediderunt earumque se quasi ministros praebuerunt inpulsuque libidinum voluptatibus oboedientium deorum et hominum iura violaverunt, corporibus elapsi circum terram ipsam volutantur nec hunc in locum nisi multis exagitati saeculis revertuntur. Ille discessit; ego somno solutus sum." (111)

" وعلى ذلك حيث إنه أصبح من الواضح أن ما يتحرك ذاتيًا يجب أن يكون خالدًا، فمن ذا الذي سوف ينكر أن هذه الطبيعة قد مُنحت للأرواح؟ لأن كل شيء تحركه

(111) Cic., De Rep.6. 26.

دوافع خارجية هو بلا حياة، في حين أن كل كائن حي يتحرك بدفعة داخلية نابعة من ذاته، وهذه الدفعة هي جوهر الروح ومصدر قوتها؛ فإن كانت الروح وحدها من بين كل الأشياء تتمتع بالحركة الذاتية فمن المؤكد أنها لم يكن لها بداية كما أنها تتسم بالخلود. لذا وظفها في أفضل الشؤون! وإن أفضل الاهتمامات هي ما يتعلق بسلامة الوطن، والروح التي انشغلت وتدربت على مثل هذه الأمور ستطير بسرعة أكبر نحو هذا المقعد وإلى منزلها الأصلي. وسوف تقطع رحلتها هذه على نحو أسرع إذا نظرت خارج حدود الجسد، رغم أنها لا تزال حبيسة داخله، وإذا حررت نفسها قدر الإمكان من الجسد بالتأمل خارج حدوده. لأن أرواح هؤلاء، الذين حاصروا أنفسهم بالمتع الجسدية، والذين جعلوا من أنفسهم يبدون كالعبيد لإغواء شهواتهم، والذين ينتهكون قوانين الآلهة والبشر بسبب خضوعهم لشهواتهم، تطير بعد رحيلها عن أجسادها محلقة حول الأرض ذاتها (التي عاشوا فيها)، ولا تعود أدراجها إلى هذا المكان (السماوي) إلا بعد طردها بعيدًا لعصور عديدة. قال هذا ورحل، واستيقظت من نومي."

ينهي شيشرون عمله عن الجمهورية في الكتاب السادس بحلم لسكيبيو مثلما أنهى أفلاطون جمهوريته بأسطورة إر، حيث يرى سكيبيو أيميليانوس سلفه سكيبيو أفريكانوس الأكبر قاهر هانيبال، وكيف يحيا حياة الصالحين في السماء أو في الجنات ويأمره بأن يجهز نفسه لهذه الحياة في جنات النعيم بعد أن يموت ويترك الحياة الدنيا، وبهذا فإن الكتاب السادس يحوي حلم سكيبيو المشهور على سرد حكيم للمصير المجيد الذي ينتظر رجل الدولة بعد وفاته بعد أن يضحّي بذاته، وهو بذلك يحاكي أسطورة إر في جمهورية أفلاطون،[١١٢] والتى قال عنها أفلاطون:

"…., ἀλλ' ἀλκίμου μὲν ἀνδρός, Ἠρὸς τοῦ Ἀρμενίου, τὸ γένος Παμφύλου· ὅς ποτε ἐν πολέμῳ τελευτήσας, ἀναιρεθέντων δεκαταίων τῶν νεκρῶν ἤδη διεφθαρμένων, ὑγιὴς μὲν ἀνῃρέθη, κομισθεὶς δ'

([112])Niall. M.C.,(1998) "Cicero's Dream of Scipio" From the Latin text of Cicero, M.T. De re publica. (Ed. Zetzel. J.E.G.), Cambridge University Press.p.155.

οἵκαδε μέλλων θάπτεσθαι δωδεκαταῖος ἐπὶ τῇ πυρᾷ κείμενος ἀνεβίω, ἀναβιοὺς δ' ἔλεγεν ἃ ἐκεῖ ἴδοι. ἔφη δέ, ἐπειδὴ οὖ ἐκβῆναι, τὴν ψυχὴν πορεύεσθαι μετὰ πολλῶν, καὶ ἀφικνεῖσθαι σφᾶς εἰς τόπον τινὰ δαιμόνιον, ἐν ᾧ τῆς τε γῆς δύ' εἶναι χάσματα ἐχομένω ἀλλήλοιν καὶ τοῦ οὐρανοῦ αὖ ἐν τῷ ἄνω ἄλλα καταντικρύ. δικαστὰς δὲ μεταξὺ τούτων καθῆσθαι, οὕς, ἐπειδὴ διαδικάσειαν, τοὺς μὲν
δικαίους κελεύειν πορεύεσθαι τὴν εἰς δεξιάν τε καὶ ἄνω διὰ τοῦ οὐρανοῦ, σημεῖα περιάψαντας τῶν δεδικασμένων ἐν τῷ πρόσθεν, τοὺς δὲ ἀδίκους τὴν εἰς ἀριστεράν τε καὶ κάτω, ἔχοντας καὶ τούτους ἐν τῷ ὄπισθεν σημεῖα πάντων ὧν ἔπραξαν. ἑαυτοῦ δὲ προσελθόντος εἰπεῖν ὅτι δέοι αὐτὸν ἄγγελον ἀνθρώποις γενέσθαι τῶν ἐκεῖ καὶ διακελεύοιντό οἱ ἀκούειν τε καὶ θεᾶσθαι πάντα τὰ ἐν τῷ τόπῳ. "[113]

"إن" إر" رجل شجاع وبطل وهو ابن أرمينيوس Ἀρμενίος ومن مواطني بامفيليا. فقد قُتل " إر" في الحرب، وعندما جُمعت الجثث لدفنها بعد عشرة أيام، تبين أن جثته وحدها هي التي لم تفسد، فنُقل إلى بيته، وبينما كانوا يهمون بدفنه بعد يومين، إذا به ينهض حيًا وهو راقد على فراش الموت، ثم بدأ يقص على الباقين ما رآه في العالم الآخر. قال لهم إن روحه عندما فارقت بدنه، سافر مع مجموعة كبيرة حتى بلغوا مكانًا رائعًا، به فتحتان متجاورتان في الأرض، تقابلهما فتحتان أخريان في السماء، وبينهما جلس قضاة يطلبون من العادلين بعد كل حكم يصدرونه أنه يتوجهوا إلى الطريق الأيمن الصاعد إلى السماء، بعد أن يعلقوا على صدورهم إشارات بالحكم الصادر عليهم. أما الظالمون فيؤمرون بسلوك الطريق الأيسر المؤدي إلى أسفل، يحملون على ظهورهم أدلة على ذنوبهم. وعندما اقترب " إر " نفسه أخبره القضاة بأن

([113]) Plat., Republic. 614.b,c,d1-5.

عليه أن يحمل أنباء العالم الآخر إلى البشر، وأن يسمع الآن ويلاحظ ما كان يجرى فى ذلك المكان.(١١٤)

وقد ذكر شيشرون أسطورة " إر" وقال عنه نفس الكلام قبل الدخول في الحديث عن حلم سكيبيو:

". . . qui rogo impositus revixisset multaque de inferis secreta narrasset . . . haec, quae de animae immortalitate dicerentur caeloque, non somniantium philosophorum esse commenta nec fabulas incredibiles, quas Epicurei derident, sed prudentium coniecturas." (115)

"(طبقًا لشيشرون فإن إر) عاد إلى الحياة بعد أن تم وضعه فوق المحرقة الجنائزية وكشف عن الكثير من الأسرار بشأن العالم الآخر. (واقترح أن) هذه الأشياء التي تُقال عن خلود الروح والسماء ليست من خيال الفلاسفة الحالمين، وليست من الأساطير العجيبة كتلك التي يسخر منها الإبيقوريون، بل إنها نتائج توصل إليها الحكماء من الناس."

كرر شيشرون الفقرة نفسها التي استخدمها أفلاطون، والتي تصف عودة إر البامفيلي إلى الحياة(١١٦)، ولكنه حرص على إظهار أنه لم يقدم قصة خيالية، بل لجأ إلى حيلة بارعة عن طريق تقديم الموضوع في هيئة حلم. ووقع اختيار شيشرون على سكيبيو الأكبر، الذي انتصر على قرطاجة، والذي أضاف إلى عائلته لقب "قاهر أفريقيا" وجعله يحذر سكيبيو الأصغر بن باولّوس من أنه قد يتعرض للخطر على يد أقاربه، وأن حياته قد اقتربت من نهايتها. ويضيف شيشرون أنه عندما يبلغ السادسة والخمسين من عمره سوف يستعيد روحه التي صعدت إلى السماء. وذلك لأن جوهر العقل والروح عند شيشرون خالدة؛ وكذلك فإن هؤلاء الذين حافظوا على أوطانهم لهم

(١١٤) الترجمة مأخوذة من كتاب: أفلاطون(١٩٨٥)، جمهورية أفلاطون، سبق ذكره . صص٥٥٦-٥٥٧.

(115) Cic., De Rep.6.3.

(116)Plat., Republic 10. 614-621.

مقام محجوز في الجنة يشع منه النور.[١١٧] ويبلغ الحلم ذروته في رحلة حول طبيعة الروح كما وردت فى محاورة فايدروس عند أفلاطون[١١٨].

وفى مناقشة شيشرون لفكرة الحاكم المثالي في عمله "عن الجمهورية" يتحدث عن السياسي الصالح وهو أفضل الصالحين ويمكن أن يكون حاكمًا مطلقًا في وقت الشدائد، ولكن مهما كانت الظروف لابد وأن يحترم الدستور، ويسميه شيشرون المصلح لا الزعيم أو المواطن الأول؛ وحارس الدولة الشيشرونية الفاضلة لا يرجو من الدنيا أي شيء، فكل ما يرجوه النعيم الدائم في الدار الآخرة، وهذا هو بيت القصيد أعني بذلك أن هذا هو السبب الذي جعل شيشرون يتحدث عن حلم سكيبو والذي يتحدث فيه عن النعيم في الدار الآخرة. (وفى حلم سكيبيو) يرى سكيبيو الأصغر الحالم جده المنتصر على هانيبال، وهو ما يوازى بدقة رؤية العالم فيما وراء قبر إر عند أفلاطون. ويرى الحالم أيضًا عالمًا يعيش فيه العظماء والخيرون من الرجال حياة سرمدية في تأمل مبارك حول الانسجام الكوني. فيحكي سكيبيو الأصغر (أيميليانوس) كيف أنه جلس إلى الملك النوميدى ماسينيسا، الذي كرس نفسه لتخليد ذكرى سكيبيو الأكبر. وأطال ماسينيسا حديثه حتى هبطت أسدال الظلام واشتدت حلكة الليل، حتى ظهر سكيبيو الأفريقي نفسه في الحلم لحفيده بالتبنى سكيبيو الأصغر، وكشف له عن مكانته فى السماء وبين النجوم. ويتضح مما يشرحه سكيبيو الأكبر وهو في موقعه الفلكي الممتاز كيف أن النجوم تكبر الأرض حجمًا بعدة مراحل. فهو يرى الأرض من العلياء فنجدها في وصفه لها صغيرة جدًا حتى أن الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف لم تعد تظهر إلا كنقطة ضئيلة للغاية. والرسالة التي يريد شيشرون توصيلها هي فكرة الخلود ولا سيما خلود العقل "فالعقل هو الذات الحقيقية (الإنسان الحقيقى) mens cuiusque is est quisque, ..." [١١٩]

([117])Niall. M.C., (1998) op. cit .p.156.

([118])Plat.,Phaedrus,245C -245E.

([١١٩]) أحمد عتمان(١٩٨٩) الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي. عالم المعرفة. العدد ١٤١. الكويت. صص ١٦٨-١٦٩.، وكذلك انظر:

إن الباحث المتفحص بدقة في فلسفة شيشرون سيقف على حقيقة أثبتها مؤرخو الفلسفة وهي: أن حديثه عن الروح مضطرب وغامض فيقول حينًا إن الروح خالدة، ومتميزة كل التميز عن الجسد، ويظن حينًا آخر أنها على اتصال وثيق بالجسد، وبينهما عراك دائم فالجسد يصرف الروح عن الفكر ويجلب عليها آلامًا كثيرة بميوله وأهوائه وهي من جهة أخرى تحارب الجسد وتأمل في الخلاص منه، ولكن كيف يتم هذا التفاعل ويلتقي الجسد بالروح ويؤثر كل منهما في الآخر؟ هذا ما لم يُجب عنه شيشرون، وفيما يبدو أن عنصر الخيال هو الذي طغى هنا على المنطق، ولأن فلسفته بُنيت على الغلو في قيمة العقل البشري.(١٢٠)

وعن سبب وجود حلم سكيبيو فى نهاية عمل شيشرون عن الجمهورية يذكر" أتكينس Atkins" سببين: الأول هو ضياع الجزء الخاص بالحلم فى البداية، وعندما تم العثور عليه في تعليقات ماكروبيوس نُشر في نهاية المحاورة، والمحاورة على غرار أسطورة إر في نهاية محاورة الجمهورية لأفلاطون، وبالتالي تمت قراءته ودراسته بشكل منفصل عن بقية المحاورة. والسبب الثاني يتعلق بالمفهوم العام للنص، فالصورة العامة للحلم هي كونية وأثيرية وتتعلق بالفضاء من ناحية، ومن ناحية أخرى تتعلق بالعالم الآخر، ومعنية بالأبدية والخلود في الدار الآخرة، وفيما يبدو أن الفلسفة السياسية للكتب الخمسة الأولى كانت مركزة على السياسة في روما. ويمكن تصور فلسفة الحلم كهروب من الحياة السياسية المضطربة وكتعويض عن الإحباطات السياسية، وبشكل أعم عن الحياة نفسها.(١٢١)

لقد ظهرت مؤلفات شيشرون في الفلسفة في أوقات ابتعاده عن الحياة السياسة، وهي ترمي في المقام الأول إلى تلخيص تعاليم حكماء الإغريق السياسية وتقديمها للرومان بلغة لاتينية سهلة وواضحة وجذابة. وقد جمَّل فكره بالحوار مقتديًا بأفلاطون،

Cicero., De Re publica.6.24.

(120)Mackendrick.P., (1989) op.cit.p.118.

(121)Atkins. W. J., (2013) op.cit.p. 47.

واضطر إلى ابتكار مصطلحات فلسفية لاتينية ونجح في هذا نجاحًا باهرًا. ونهج فى عمله "عن الجمهورية" نهج أفلاطون في جمهوريته، ولا غرو في ذلك إذ إنه كان يكن احترامًا فائقًا لأفلاطون حتى أنه يقول عنه " ذلك هو إلهنا deus ille noster" [١٢٢] وإن اختلف معه في كثير من التفاصيل. ويوضح فيه رؤيته السياسية، وهو يدين بالكثير لأفلاطون شكلًا ومضمونًا، ولكنه من منظور رجل الدولة الروماني الذي يفضل الحكمة العملية على الحكمة النظرية. [١٢٣]

وبناءً على تعريف الحلم الذي تم عرضه في بداية البحث، والذي يتضمن كشفًا للمعرفة أو للحقيقة التي لا تتوفر للحالم أو البصيرة في حالة اليقظة العادية، فالحلم يأتي للتعبير عن الأحداث التي يعيشها الحالم في حياة اليقظة. ويمكن القول بأن لحلم سكيبيو بعدًا رمزيًا وهو رحلة الروح الفلسفية نحو الألوهية، أي من الحياة المادية التي يعرفها الرومان إلى حياة الألوهية. والأهم من ذلك أن حياة الروح في معبد أو مسكن الآلهة الروحي تفوق بكثير حياة الإنسان على الأرض. فالحلم يصور روما الدنيوية وروما السماوية.[١٢٤]

يضاف إلى ذلك أن شيشرون في الكتاب السادس يُنهي الحوار بأن يقص سكيبيو أيميليانوس الحلم الذي ظهر فيه جده سكيبيو أفريكانوس وأظهر إليه من علياء السماء ضآلة وتفاهة كل ما هو بشري بما فيها من مجد أرضي وكشف له النعيم الذي ينتظر أرواح رجال الدولة. كما يشير إلى شخصية المواطن الأول Princeps فى جمهورية شيشرون وبالتحديد في فقرة الحلم إلى نمط السياسي البارز، وليس من الشرط أن يكون متفردًا، وبمعنى آخر أن شيشرون كان يفكر بوجود شخصيات بارزة بإمكانها أن

([122]) Cicero., Ad Atticus.IV. 16., Mconnell. S., (2012)*"Cicero and Dicaearchus."* OSAP 42 .p. 319.

([١٢٣]) أحمد عتمان(١٩٨٩)، سبق ذكره. ص ١٦٧.

([124])Malcolm. S., (1995) "Cicero the Philosopher " Cicero's definition of Res publica. Oxford.p . 56.

تقود مجلس الشيوخ والصالحين boni ، ومن المحتمل أن يكون دور " المواطن الأول " قد جاء على غرار الدور الذي لعبه سكيبيو أيميليانوس نفسه في الجمهورية الرومانية. وهذا يعني أن شيشرون لم يتنبأ بما حدث في فترة أوغسطس، ولكنه يهدف إلى الحفاظ على دور " المواطن الأول " في حدود الشكل الجمهوري للحكومة. لقد كان شيشرون يفكر ليس في إجراء إصلاح دستوري، بل في تماسك الإجماع السياسي حول القادة ذوي المقام العالي. كما أن نفوذ "المواطن الأول" لا يعد بديلاً عن نفوذ مجلس الشيوخ بل هو يمثل الدعم المطلوب لإنقاذ الجمهورية. وحيث إن سلطاته لا تتعدى الحدود الدستورية، فإن "المواطن الأول" لن يحتاج أن يشحذ روحه ضد كل الشهوات الأنانية وخاصة شهوة السلطة والمال. وهذا الازدراء والترفع عن كل الأمور البشرية هو الرسالة التي يوجهها "حلم سكيبيو" لكل حكام الدولة. وهكذا فإن شيشرون يقدم صورة للحاكم الزاهد، فهو الممثل للمشيئة الإلهية على الأرض، والمؤيد بتكريس نفسه في خدمة الدولة بالترفع عن هوى البشر. وهذا النموذج الشيشرونى يمكن الوصول إليه ولكن بصعوبة.[١٢٥]

فالفساد السياسي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الروماني، والذي عاشه شيشرون اعتبره الباحثون سببًا في ظهور عمله عن الجمهورية بصفة عامة وعن حلم سكيبيو خاصة، فلما وجد الفساد مستشريًا في مجتمعه نصب من نفسه مشرعًا جديدًا يضع شريعة يخلص بها مجتمعه من كل فساد عن طريق وضع نموذج للمواطن المثالي الصالح ليصل إلى جمهورية مثالية.[١٢٦]

([١٢٥])على عبد التوب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية . قراءة فى الأجناس الأدبية ، القاهرة . صص٢٢٤، ٢٢٥ .

([126])Lockwood. T.C., (2015) Documenting Hellenistic Philosophy:Cicero as a source ass a Philosospher .Quinnipiac University.p.22.

النتائج المستخلصة من البحث:

- قدم شيشرون الحلم كمشاهد يراها النائم للتعبير عما يدور فى اللاشعور من رغبات لا يستطيع التعبير عنها فى الواقع فتجد فى الحلم متنفسًا لها، وهي مستمدة من الماضى والواقع، وقد تتنبأ بالمستقبل بصورة رمزية.
- جاء تسلسل الحلم على شكل مستويات بحيث يتنقل القارئ من مستوى إلى آخر، وهذه التقنية البنائية ذات شكل مجازي. فقد عرض شيشرون بعض الأحداث التاريخية على لسان سكيبيو أفريكانوس (الأكبر) في صورة نبوءات وجهها لسكيبيو(الأصغر) في الحلم، ورتب الأحداث في تسع مراحل بحيث تتفق مع عدد الكواكب أو المدارات التسع، ولقد تحققت النبوءات جميعها التي تنبأ بها سكيبيو أفريكانوس لسكيبيو (الأصغر).
- أظهر شيشرون على لسان سكيبيو أفريكانوس الأكبر تحقيرًا للأرض وأنها لا تساوي أي شىء، حيث إنها سوف ينالها الدمار أو تُفنى في وقت ما لا محال له، وكذلك احتقاره للعالم الدنيوي والبشري واهتمامات البشر، ونصح بعدم الاهتمام بكلام العامة مهما يُقال منهم.
- يبلغ الحلم ذروته في رحلة حول طبيعة الروح بمقابلة سكيبيو أيميليانوس لوالده باولوس ونصائحه له. حيث يتعلم منه قوانين الحياة والموت التي تحكم دخول الرجل إلى النعيم والسعادة في الدار الآخرة؛ وكأنه يريد أن يقول له هذا هو ثواب رجل الدولة الصالح بعد الموت، وفي الوقت نفسه يدعوه إلى البُعد عن الحياة الفاسدة على الأرض.
- تطرق شيشرون في حلم سكيبيو إلى المدارات أو الأفلاك التسع من خلال حركة الحلم إلى معبد الإله السماوي ثم داخل المعبد نفسه حيث يرى مجرة درب التبانة ومجتمعها، وفيه أمكنه التفكير في حركات الكواكب. فتحدث عن آلهة السماء الأخرى reliqui caelites. وعن وصف "درب التبانه orbem

lacteum". وعن وصف الملكوت السماوي، وعن أن الكون يتكون من تسعة أجرام سماوية. والأرض هي الجزء الداخلي في حين أن أعلى السماء أحد هذه الأفلاك الفلك السماوي unus est caelestis وهي التي تحتوي على البقية، وهي التي فيها الإله الأعلى نفسه summus ipse deus.

- أوضح شيشرون أن الصوت يصدر عن حركة وتدافع الكواكب نفسها، والصوت هو نتيجة مزج النغمات المختلفة مع بعضها البعض. ويبدو أن هدف شيشرون هو إظهار أن انسجام الكون يماثل انسجام مجازي وحقيقي على الأرض بين الحاكم والشعب. وحركة الكواكب تشبه في صورتها "الضغط على أوتار الآلة الموسيقية.
- يرى الباحث أن حلم سكيبيو بمثابة رحلة من رحلات الخيال العلمى إلى الفضاء. فشيشرون سبح بخياله الواسع في الحلم برحلة من العالم الدنيوى إلى العالم العلوي وهو السماء، وتخيل الكواكب والنجوم بل وحركتها وأصواتها، وذهب إلى أبعد من ذلك إلى تصور وجود الإله الأعظم الذي يدبر كل ما يدور في السماء والأرض من الموجودات فى عالم الغيب: وهو العالم الذي ليس بإمكان الإنسان إدراكه بالحواس في هذه الحياة الدنيا، وهو فيما يسمى في الفلسفة اليونانية الميتافيزيقيا " ما وراء الطبيعة "، فالمعرفة البشرية ثمرة التقاء بين ذهن الإنسان وبين الموجودات الخارجية وإن كان هذا لا يعني التلازم التام بين الموجودات وذهن الإنسان، بمعنى أنه ليس كل موجود معروفًا أو من الممكن معرفته، وليس كل تصور أو تصديق في الذهن البشري واقعًا على شيء خارجي. فهناك من الموجودات لا قدرة لوسائل المعرفة الإنسانية التعرف عليها مثل طبيعة الذات الإلهية، فالإنسان يقر بوجودها ولكنه لا يستطيع معرفتها.

قائمة بالإختصارت

Cicero	De re publica.
CQ	Classical Quarterly.
JRS	Journal of Roman Studies.
Lucretius	De Rerum Natura,
OSAP	Oxford Studies in Ancient Philosophy.

المصادر والمراجع

المصادر :

Cicero., (1928) De re publica, De legibus. Trans. by C. W. Keyes. L.C.L. Cambridge: Harvard University Press

Cicero. Marcus. Tullius., (1929) On the Commonwealth. Trans. with Notes and Introduction by George Holland Sabine and Stanley Barney Smith. Ohio: Ohio State University Press.

Cicero.Marcus.Tullius., (1969) De re publica. Lipsiae [Leipzig]: B. G. Teubner.

Cicero. Marcus. Tullius., (1995) De re publica. Selections. Ed. by James E. G. Zetzel. Cambridge: Cambridge University Press ("Cambridge Greek and Latin Classics").

Cicero. Marcus. Tullius., (2006) De re publica, De legibus, Cato Maior de senectute, Laelius deamicitia. Ed. by Jonathan G. F. Powell. Oxford and New York: Oxford University Press. ("Oxford Classical Texts").

Plato., (1937) The Republic, Trans. by. Paul Shorey., L.C.L. In Two Volumes

Plato., (1933) Euthyphro, Apology, Crito, Phaedo, Phaedrus, Trans. by. Fowler.H.N., L.C.L.

المراجع الأجنبية:

Andrew .R. D., (1998) *" On the Interpretation of Cicero, De Republica "* CQ 48, No. 2 , pp. 564-568.

Astin .A. E., (1967) Scipio Aemilianus, Oxfrod.

Atkins W. J., (2013) Cicero on Politics and the Limits of Reason . The Republica and Laws. Cambridge University Press.

Karl. B. , (1984) *M. Tullius Cicero. De re publica.* Heidelberg: Carl Winter Universitätsverlag.

Christensen .T.S., (2002) *The Cambridge History of Western Music Theory.* Cambridge University Press.p.54.

Cross. R.C., & Woozley.A. P., (1970) *Plato's Republic A Philosophical Commentary*. London.

Gallagher. R. L., (2001) "*Metaphor in Cicero's De Re Publica*" in *CQ* 51, pp. 509-519.

Frandreas . K., (2010) *Commentary On Cicero, De Republica*, VI , 18 & 19 (Harmony of Spheres) . USA.

How. W. W.,(1990)*" Cicero's Ideal in His de Republica"* JRS 20, pp. 24-42.

Jackson . B. J., (1987) *" The Education of Statesmen in Cicero's "De Republica"* Polity, Vol. 19, No. 3 . pp. 353-374.

James.M.,(2002)*Brill's Companion to Cicero*. Oratory and Rhetoric. Brill. Leiden . Boston.

Stevens . J., (2006)"*The Imagery of Cicero's Somnium Scipionis"* in Collection Latomus 301. Studies in Latin Literature and Roman History.XIII. Ed. C. Deroux .pp. 155-165.

Gregory. J., (1991) *" and Plato on Democracy: a Translation and its Source":* Latomus, T. 50, Fasc. 3, pp. 639-644.

Kovalts. G. A. (2009). *"A Solar Cycle Lost in 1793-1800: Early Sunspot Observations Resolve the Old Mystery". The Astrophysical Journal*. 700 (2):pp.52-77.

Lockwood .T.C., (2015) *Documenting Hellenistic Philosophy:* Cicero as a source ass a Philosospher . Quinnipiac University.

Luck. G.,(1956)*"Studia Divina in Vita Humana: On Cicero's 'Dream of Scipio' and Its Place in Graeco-Roman Philosophy."* The Harvard Theological Review 49.pp.207–218.

Mconnell. S., (2012)*"Cicero and Dicaearchus."* OSAP 42.pp. 307–349.

Paul. M., (1989) The Philosophical work of Cicero. Backworth.London.

Malcolm. S., (1995) *"Cicero the Philosopher "* Cicero's definition of Res publica. Oxford.

Niall. M. C., (1998) *"Cicero's Dream of Scipio"* From the Latin text of Cicero, M.T. De re publica. (Ed. Zetzel. J.E.G.), Cambridge University Press.

Powell. J. G. F.,(1990) *Cicero: Laelius, on Friendship & The Dream of Scipio.*Warminster (England): Aris & Phillips Ltd.

West . M. L., (1992) *Ancient Greek Muisic.* Oxford: Clarendon Press.

Zetzel. J. E. G., (1995) *Cicero, Marcus Tullius, De re publica. Selections.* Cambridge:

Cambridge University Press ("Cambridge Greek and Latin Classics").

معاجم وقواميس:

Hammond.N.G.L., and.Scullard.H.H., (1979) The Oxford Classical Dictionary Second Edition. Oxford .
Cary.A.B., (1949) The Oxford Classical Dictionary , Oxford.
Sandy.J.E., (1962) Dictionary of Classical Antiquities, New York.

مواقع إلكترونية:

http://classics.mit.edu/Aristotle/heavens.1.i.html
http://www.skyscript.co.uk/kepler.html (David Plant: Kepler & the Music of the Spheres)
http://www.dartmouth.edu/~matc/math5.geometry/unit3/unit3.html (Paul Calter: Pythagoras & Music of the Spheres)
http://en.wikipedia.org/wiki/Il_sogno_di_Scipione. The full score can be visited at
http://dme.mozarteum.at/DME/nma/nma_cont.php?vsep=41&gen=edition&l=1&p1=-27
https://en.wikipedia.org /wiki / Somnium_Scipionis.
https:/la.m.wikisource.org /wiki / Commentarii_ in _Somnium_Scipionis.
http:// ar.wikipedia. org/wiki.
https://nasainarabic.net/education/articles/view/what-does-the- solar-system-sound-like.
https://nasainarabic.net/education/articles/view/basics-of-space-flight

المراجع العربية:

أرسطوطاليس(١٩٨٠)، فى النفس، راجعها على أصولها اليونانية وشرحها وحققها وقدم لها :عبد الرحمن بدوى، توزيع دار القلم، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية.

أحمد عتمان(١٩٨٩)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي، عالم المعرفة، العدد ١٤١.الكويت.

أفلاطون(١٩٨٥)، جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، راجعها على الأصل اليونانى: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

سيجموند فرويد (١٩٩٤) تفسير الأحلام، ترجمة: مصطفى صفوان، راجعه: مصطفى زيور، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة.

على عبد التوب على، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية . قراءة فى الأجناس الأدبية ، القاهرة .